
اجاثا كريستي
www.7akawyna.com
مرمورية
نادي الجريمة

وفقت "أجاثا كريستي" أيما توفيق في ابتداع هذا اللون الجديد من القصص البوليسي، فهي في هذا الكتاب الذي اسمته "نادي الجريمة" واسمه بالانجليزية، (جرائم نادي الثلاثاء) (Tuesday Club Murders) لم تضع رواية واحدة، بل عدة روايات بوليسية. وأعضاء هذا النادي يجلسون جلسة منزلية هادئة، ويروح كل واحد منهم يسرد على زملائه قصة جريمة من الجرائم، ويذكر كل ظروف هذه الجريمة وملابساتها وحقائقها بالتفصيل، وينطلق كل واحد من الأعضاء يدلي برأيه وبالحل الذي يراه، وينتهي الأمر بالشخصية البوليسية العجيبة "الآنسة جين ماربل" التي ابتدعتها أجاثا كريستي" أن تذكر الحل الصحيح. وأمام القارئ مثل فرصتها، فهو يطالع الجريمة وظروفها كما سمعتها، فعليه أن يباري الآنسة "ماربل" إن أراد، وأن يبحث عن حلول تلك الجرائم، وأن يقابل في النهاية بين حله وحلها. جدير بالقارئ أن يحاول الوقوف على سر لعنة الإلهة "عشتاروت" إلهة الحب وسر كنز الذهب وغيرهما من الجرائم العجيبة المثيرة التي تأخذ بلب القارئ، وتشحذ عقله على التفكير العميق. وما أعظم سروره حين يصل إلى حل سديد!

أجاثا كريستي

- □ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.
- □ بيع من كتبها أكثر من **650** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- □ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول "إني إنجليزية". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيّة في الرواية. كما تميّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء، ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمنت أيضاً أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953-38-206-9
9 789953 382067

قام بعون الله الأساتذة/ **أميرة عبد القادر محمد - عبد المنعم علي خطاب**
مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الإسم الأصلي للرواية
The thirteen problems
(1932)

الغلاف بريشة الفنان
عبد العال

- 1 -
جريمة في الغابة

جلس الضيوف في القاعة الأنيقة يتسامرون بشتى الأحاديث عن كثب من الآنسة "**ماربل**" . السيدة المسنة ذات الوجه السمح التي كانت تتابع أحاديثهم متفكهة ، وهي منهمكة في شغل الإبرة بدقة يحسدها عليها من هن أصغر سنا، كان الضيوف هم: "**ريموند ويست**" ابن أخيها الصحفي الشاب ، وصديقته "**جويس**" الفنانة الحسناء المشهورة، والسيد "**هنري**" مدير البوليس السابق ، ودكتور "**بندار**" القس العجوز ، و"**باتريك**" المحامي المعروف .

وكان الحديث يدور حول القضايا الجنائية الغامضة التي حيرت البوليس وهل يجدي في كشف غوامضها الأسلوب البوليسي وحده ؟ أم لابد من الاعتماد - أيضا - على الأساليب الحديثة مثل علم النفس وسعة الخيال والمواهب الذاتية في التحليل والاستنتاج والخبرة بالطباع البشرية ، إلى غير ذلك من العناصر التي يستعان بها في العصر الحديث .

وفي النهاية فاجأتهم "**جويس**" باقتراحها الطريف قائلة :

- ما رأيكم ونحن نمثل مجموعة متكاملة أن نشكل ندوة لنا نسميها باسم هذه الليلة أي "ندوة الثلاثاء" ؟ وإني أقترح أن تعقد هذه الندوة أسبوعيا ، على أن يتقدم كل عضو فيها بقضية غامضة يعرفها ويعرف حلها بالتأكيد

وعندما لقيت هذه الفكرة موافقتهم بالإجماع قالت "**جويس**" :

- من يكون البادئ ؟

فقال الدكتور "**بندار**" القس :

- لن نجد أفضل من السيد "**هنري**" الذي كان شخصية بارزة في بوليس "**اسكتلانديارد**" .

فابتسم مدير البوليس السري السابق مغلوبا على أمره وبدأ يقول :

- هناك تلك القضية التي ربما قرأتم عنها في الصحف منذ عام مضى ، ووقائع

هذه القضية غاية في البساطة فأبطالها ثلاثة أشخاص جلسوا حول مائدة العشاء الذي كان مؤلفا من جراد البحر المعلب... و في أثناء الليل أصيب ثلاثتهم بنوبة مرض مفاجئة ، واستدعي الطبيب لإسعافهم ، فتماثل اثنان منهم للشفاء ، وتوفي الثالث . . . وقد اعتبرت الوفاة نتيجة تسمم غذائي ، وحررت شهادة الوفاة بهذا المضمون ، وتم دفن الضحية في النهاية ولكن الامور لم تقف عند هذا الحد . .

وهنا أومات الآنسة "**ماربل**" براسها قائلة :

– كانت هناك اقاويل بالتاكيد ، فإن الشائعات تقترن عادة بمثل هذه القضايا .

– صحيح .. والآن ساصف لكم أبطال المأساة وسوف أسمي الزوج باسم السيد "**جونز**" ، وزوجته السيدة "**جونز**" ومرافقة الزوجة باسم الآنسة "**كلارك**" وكان "**جونز**" مندوبا متجولا لاحد مصانع الادوية، وكان رجلا وسيما في نحو الاربعين من عمره ، وزوجته امراة عادية تكبره بخمسة اعوام ، وكانت مرافقة الزوجة في الستين من عمرها ، ولكنها كانت امرأة قوية البنية، طلقة الوجه، حلوة اللسان .

المهم أن تعقيدات الموقف بدأت بصورة غريبة فإن "**جونز**" أمضى الليلة السابقة للحادث في أحد فنادق مدينة "**برمنجهام**" وتصادف أن الخادمة المشرفة على حجرته قامت بعد سفره بتغيير النشافة الموجودة فوق مكتب صغير في الحجرة وراحت تتسلى بقراءة رسالة حررها "**جونز**" قبل سفره ، وبقيت بعض عباراتها مطبوعة في النشافة مستعينة في هذا بمرآة . . . وبعد أيام نشرت الصحف حادث وفاة السيدة "**جونز**" نتيجة لتناول جراد البحر المعلب ، فنقلت الخادمة إلى زميلاتها الكلمات التي فكت رموزها في النشافة ، وكانت بهذا النص :

– "اعتمادي الكامل على زوجتي . . . عندما تموت فإنني سوف . . . مئات وآلاف . . " . . . ولعلكم تذكرون أنه كانت هناك منذ عهد قريب قضية لزوجة سممها زوجها ، وسرعان ما التهب خيال الخادمة حتى اعتقدت من قراءة كلمات الرسالة أن السيد "**جونز**" دبر قتل زوجته؛ لكي يرث مئات وألوف الجنيهات وتصادف في نفس الوقت أن إحدى خادمات الفندق كان لها أقارب يقيمون في البلدة الصغيرة التي تقيم فيها أسرة "**جونز**" ، فكتبت لهم الخادمة بما عرفته من

زميلتها ، وردوا عليها برسالة تبين منها أن السيد "**جونز**" كان يتودد إلى ابنة طبيب البلدة ، وهي فتاة حسناء في الثالثة والثلاثين من عمرها وسرعان ما انتشرت الشائعات ، وأخذت العرائض تنهال على وزارة الداخلية والرسائل الغفل من الإمضاء تتوارد على إدارة بوليس "**اسكتلانديارد**" وكلها تتهم السيد "**جونز**" بقتل زوجته .. ومع أن دوائر البوليس اعتبرت هذا كله من قبيل الشائعات التي تكثر عادة في أمثال هذه الدوائر بدون أن تستند إلى أساس ثابت ، إلا أنه صدر الامر باستخراج الجثة وتشريحها .. ومن العجب أن النتيجة جاءت نقيض توقعات الدوائر الرسمية فقد تبين أن الوفاة حدثت نتيجة التسمم بمادة الزرنيخ، وكان على "**اسكتلانديارد**" والبوليس المحلي المختص إثبات ، كيف دس السم للزوجة ، ومن هو الفاعل ؟

وطبيعي أن تتجه الشبهة إلى الزوج فقد استفاد من موت زوجته إن لم يكن بميراث المئات والآلاف التي تصورتها خادمة الفندق فعلى الأقل بمبلغ قدره ثمانية آلاف جنيه . ولم تكن له موارد خاصة سوى مرتبه وكان ينفق بإسراف ، ويميل إلى صحبة النساء . . . وكان علينا أن نتحرى عن علاقته بابنة طبيب البلدة. . . ولكن ثبت لنا أنه رغم ما كان بينهما من صداقة قوية ، فقد دب الفتور إلى هذه العلاقة فجاة ، ولم يشاهدهما أحد معا منذ شهرين سابقين على الحادث . . . وقد دهش الطبيب ذاته لنتيجة التشريح : إنه استدعي حوالي منتصف الليل ، ووجد الثلاثة في حالة سيئة . . .فأرسل إلى صيدليته يطلب موافاته بأقراص "**أفيون**" لتسكين الآلام التي كانوا يشعرون بها . . .

ورغم كل جهوده فإن الزوجة قضت نحبها ، ولكنه لم يشك لحظة في حدوث شيء غير عادي، وكان مقتنعا بأن الوفاة كانت نتيجة نوع من التسمم الغذائي . كان الطعام في تلك الليلة مؤلفا من جراد البحر المعلب مع السلطة والخبز والجبن وكعكة "**التريفل**" التي تصنع – كما هو معروف من الفواكه والشراب والكريمة ، ومن سوء الحظ أنه لم يتخلف شيء من جراد البحر فقد أتوا عليه عن آخره ، وتخلصوا من العلبة ، وقد استجوب الطبيب الوصيفة

الحسناء "**جلاديس لينش**" .فوجدها في حالة يرثى لها من الاضطراب والجزع ولكنها أكدت مراراً وتكرارا أن العلبة لم يكن بها أي أثر للصدأ وأن جراد البحر بدا لها في حالة جيدة تماما .

تلك الحقائق التي كان علينا أن نسير في التحقيق على هداها ، وإذا كان "**جونز**" هو الذي دس الزرنيخ لزوجته غدرا وخلسة فقد كان من الواضح انه لم يكن ليستطيع أن يفعل ذلك في أي لون من الوان الطعام التي تناولوها في العشاء؛ لأن الثلاثة أكلوا منه جميعا ، ثم هناك نقطة أخرى وهي أن "**جونز**" عاد تلك الليلة من رحلته إلى "**برمنجهام**" في الوقت الذي كان يقدم فيه طعام العشاء، وهكذا لم يكن أمامه فرصة للعبث بالطعام مسبقا .

وهنا قالت "**جويس**" لمدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق :

– وماذا عن مرافقة الزوجة ، المرأة القوية البنية ذات الوجه الطلق واللسان الحلو ؟

فأومأ السيد "**هنري**" قائلا :

– أؤكد لك أننا لم نهمل الآنسة "**كلارك**" ... لكن بدا من المشكوك فيه أن يكون لها أي دافع لارتكاب الجريمة . فإن المتوفاة لم تترك لها أي شيء في وصيتها، وكانت نتيجة موت مخدومتها أنها ذهبت تبحث عن عمل جديد .

فقالت "**جويس**" متأملة :

– يبدو أن هذا يخرجها من دائرة الاتهام !

فاستطرد السيد "**هنري**" قائلا :

– ثم إن أحد مفتشي البوليس التابعين لي لم يلبث أن اكتشف مسألة ذات مغزى .. فإن "**جونز**" نزل بعد العشاء إلى المطبخ تلك الليلة وطلب من "**جلاديس لينش**" إعداد قدح من شراب "**كورن فلاور**" لزوجته التي شعرت بشيء من الانحراف في المزاج وقد انتظر في المطبخ حتى أعدت "**جلاديس**" الشراب وحمله بنفسه إلى غرفة زوجته ... وقد بدا أن هذا وحده يكفي لتوجيه التهمة إليه .

فقال المحامي :

– ولماذا لم تقبضوا عليه ؟ .. لقد توافر ضده الدافع والفرصة ، وكونه مندوبا لشركة أدوية يجعل السموم في متناول يده .

فابتسم السيد "**هنري**" ابتسامة كاسفة قائلا :

– هذا هو الجانب القبيح في القضية ... إننا لم نقبض على "**جونز**" لأن الآنسة "**كلارك**" قررت في التحقيق أنها هي التي شربت قدح الـ"**كورن فلاور**" عن آخره وليست السيدة "**جونز**" .. فقد ذكرت المرافقة أنها ذهبت إلى غرفة السيدة "**جونز**" ، ووجدتها جالسة في الفراش وبجانبها قدح الشراب دون أن تمسه، وقد طلبت منها أن تشربه بدلا منها؛ لأنها غيرت رأيها لشعورها بانحراف في مزاجها وعدم رغبتها في تناول أي شيء آخر بعد الوجبة الدسمة .. فشربت الآنسة "**كلارك**" القدح رغم التزامها بالريجيم . وهكذا ترون أن هذه النقطة بالذات قد هدمت الاتهام بالنسبة إلى الزوج وعندما سئل "**جونز**" عن العبارات التي وجدت على نشافة الفندق كان رده حاضرا إذ قال إن الرسالة التي كتبها في الفندق كانت ردا على رسالة من أخ له في "**أستراليا**" طلب منه مساعدة مالية فرد عليه يقول إنه يعتمد تماما على زوجته ، وعندما تموت زوجته سيصبح مالها من نصيبه ، وعندئذ يمكنه مساعدة أخيه إذا أمكن .... وقد أعرب له عن أسفه لعدم إمكانه تقديم المساعدة المطلوبة ، ولكنه وجه نظره إلى أن الدنيا فيها مئات وآلاف من الناس يعانون مثل ضائقته المالية .

وهكذا تهاوت القضية كلها ، ولم يكن لنا أن نخاطر بالقبض على "**جونز**" لعدم ثبوت التهمة ضده .

واختتم السيد "**هنري**" قصته قائلا :

– هذه هي القضية كما تمثلت في العام الماضي... وحلها الصحيح هو الآن بين يدي بوليس "**اسكتلانديارد**" وفي ظني أنكم سوف تطالعون هذا الحل في الصحف في خلال أيام قلائل .

فقالت الفنانة الحسناء "**جويس**" :

– ترى ما الحل الصحيح لهذه القضية ؟ ! ليفكر كل منا خمس دقائق ، ثم يبدي

لنا رأيه .

وهنا تولى "**ريموند ويست**" تسجيل الوقت ، وعندما انتهت الدقائق الخمسة التفت إلى الدكتور "**بندار**" القس قائلا :

– هلا قلت لنا رأيك أولا ؟

فهز القس العجوز رأسه قائلا :

–أعترف أنني في حيرة تامة ولا أستطيع إلا أن أتصور أن الزوج هو الجاني... أما كيف فعل فعلته فهذا مالا أستطيع تصوره . وفي رأيي أنه استطاع أن يدس السم لزوجته بطريقة لم يمكن إماطة اللثام عنها ، وإن كنت لا أتصور كيف يمكن الكشف عن هذا بعد طول المدة !!

– وأنت يا "**جويس**" ؟!

فراحت الفنانة الحسناء تقول في يقين :

– المرافقة هي الجانية ... لا يستبعد أنها رغم تقدم سنها كانت على علاقة غرامية مع "**جونز**" ... ولكم أن تتصوروا شعور مرافقة مثلها وهي مضطرة إلى مجاراة مخدومتها في كل شيء وملاطفتها ومصانعتها إلى غير ذلك من الأمور التي تقتل شخصية الإنسان واستقلاله الفكري وتشعره في دخيلته بالمهانة والمضض ... ثم جاء أخيرا يوم لم تعد فيه تطيق الصبر ، فقتلت الزوجة ... والمرجح أنها هي التي دست الزرنيخ في قدح الشراب ثم اختلقت لك القصة التي قالتها عن تناولها هي نفسها القدح ، خصوصا وهي تراعي الريجيم في طعامها .

– وأنت يا سيد "**باتريك**" ...

فراح المحامي يقول :

– لا يمكنني أن أتجاهل الحقائق المادية الثابتة ... ولكن رأيي الخاص هو أن الزوج هو الجاني .. والتفسير الوحيد الذي يمكن استخلاصه من ثنايا الوقائع المادية هو أن الآنسة "**كلارك**" المرافقة أخذت عمدا دور المدافع عنه المتستر عليه ... ولايستبعد أنه عقد بينهما اتفاق مالي يعطيها بموجبه بصفة خصوصية مبلغا

جسيما إذا هي وافقت على التقدم في التحقيق باعتراف شربها قدح الـ"**كورن فلاور**" ، وبهذا تدفع عن نفسها شبح الفاقة والتشرد .

وعندئذ قال "**ريموند ويست**" بدوره :

– إنني أخالفكم جميعا ... لقد نسيتم العنصر المهم في القضية ، وأعني به الطبيب ... وإليكم تفسيري للقضية ... كانت علبة جراد البحر فاسدة ، وهي تفسر ظهور أعراض التسمم ... وقد استدعي الطبيب ، فوجد السيدة "**جونز**" ، التي أكلت من جراد البحر كمية أكبر من غيرها ، في حالة ألم شديد ، فبعث في طلب بعض أقراص الأفيون كما قلتم لنا ...وأقول إنه بعث بطلب الأقراص ولم يذهب بنفسه .. ومن الذي يعطي الرسول الأقراص ؟ إنها ابنة الطبيب بالتأكيد ، وأغلب الظن أنها تتولى بنفسها تحضير مثل هذه العقاقير لأبيها ، وهي على علاقة غرامية بـ"**جونز**" ، ومن المؤكد أن كل غرائزها الشيطانية كانت تتحرك في هذه اللحظة ، وتوقن بأن الوسيلة المتاحة لتحريره من قيود الزوجية قد سنحت بين يديها ، وهكذا ترسل الأقراص المطلوبة وبها زرنيخ مركز .. وهذا هو تحليلي للقضية .

فقالت "**جويس**" باهتمام :

– والآن يا سيد "**هنري**" .. قل لنا الحل الحقيقي للغز .

فقال السيد "**هنري**" :

– مهلا يا سادة . إن الآنسة "**ماربل**" لم تتكلم حتى الآن !

فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها في اكتئاب قائلة :

–الحقيقة أنني انشغلت بهذه القضية إلى حد أنساني عدد غرز الإبرة للأسف ... إنها قضية محزنة بالتأكيد ... إنها تذكرني بالسيد "**هارجريف**" العجوز الذي كان يقيم في "**مونت**" ... إن زوجته ظلت لا يخامرها أي شك في أمره إلى أن توفي تاركا كل ثروته لامرأة كان يعيش معها ، وقد أنجب منها خمسة أبناء . كانت هذه المرأة في وقت ما وصيفة عند الأسرة ، وكانت السيدة "**هارجريف**" تثني عليها ، وتقول إنها أكفأ وصيفة عرفتها ... وذلك طول الوقت الذي كان فيه "**هارجريف**"

يعيش مع الوصيفة في بيت خاص استأجره لها في البلدة المجاورة ، مع مواظبته على خدمة المصلين في الكنيسة في كل أحد دون كلل أو انقطاع .إن قضيتكم الحاضرة تذكرني بقضية "هارجريف" كما قلت ، والعناصر في القضيتين متماثلة تماما واظن يا سيد "هنري" أن الفتاة المسكينة قد اعترفت ، ولذلك فأنت تعرف حل اللغز .

فقال "ريموند" بدهشة :

– أية فتاة تعنين يا عمتي ؟ !

– الفتاة المسكينة ، "جلاديس لينش" بالتأكيد .. الوصيفة التي بدا عليها أشد الاضطراب والجزع عندما استجوبها الطبيب ، وكان من الطبيعي أن تضطرب وتجزع . أرجو أن ينال "جونز" الشرير جزاءه شنقا . إذ جعل من تلك الفتاة المسكينة قاتلة بعد أن غرر بها واتخذها عشيقة له وأظنهم سوف يشنقونها هي الأخرى .

وعندما حاول المحامي أن يبين للآنسة "ماربل" خطأ استنتاجاتها هزت رأسها بإصرار ونظرت إلى السيد "هنري" قائلة :

– ألست على حق ؟.. إن عناصر القضية واضحة أمامي ... المئات والآلاف وكعكة الـ"تريفل" . هذه أشياء لايمكن أن يخطئها الإنسان .

فلم يتمالك "ريموند" نفسه من أن يهتف لعمته :

– وما حكاية كعكة الـ"تريفل" والمئات والآلاف ؟ !

فالتفتت إليه الآنسة "ماربل" قائلة :

– إن الطهاة يزينون كعكة "التريفل" بمئات وآلاف من قطع السكر الصغيرة القرمزية والبيضاء وعندما سمعت أنهم تناولوا ضمن ما تناولوا في طعام العشاء كعكة الـ"تريفل" وأن الزوج حرر لأحدهم رسالة عن المئات والآلاف كان من الطبيعي أن أربط بين الاثنين .. فهنا كان موضع الزرنيخ في مئات وآلاف من قطع السكر الصغيرة ... إنه ترك المادة مع الفتاة وطلب منها أن تضعها مع الكعكة .

فاعترضت "جويس" قائلة :

– لكن هذا مستحيل ... إنهم أكلوا جميعا من الكعكة !

فردت الآنسة "ماربل" قائلة :

– أو ... لا ... إن المرافقة كانت تراعي الرجيم كما تذكرون ، ولا يمكن أن يأكل إنسان كعكة دسمة مثل هذه إذا كان يلتزم "بالرجيم" .وأعتقد أن "جونز" أزال مئات وآلاف من قطع السكر الصغيرة من قطعة الـ"تريفل" التي كانت من نصيبه وتركها في جانب الطبق .. إنها فكرة حاذقة ، ولكنها شريرة بالتأكيد .

وهنا تركزت جميع الأنظار على السيد "هنري" ، الذي راح يقول في تؤدة :

– إن الآنسة "ماربل" أصابت كبد الحقيقة وفي الواقع فإن "جونز" غرر بالوصيفة "جلاديس لينش" ووضعها في موقف لا تحسد عليه إذ كانت الفتاة في حالة يأس .. وقد أراد "جونز" أن يزيح زوجته من الطريق ، ووعد "جلاديس" بالزواج بها بعد وفاة زوجته ، وهكذا دس الزرنيخ في مئات وآلاف من قطع السكر الصغيرة وأعطاها للفتاة مبينا لها كيف تستخدمها .

إن "جلاديس لينش" تُوفيت منذ أسبوع ، وقد توفي وليدها في أثناء الوضع ، بعد أن كان "جونز" قد هجرها إلى امرأة أخرى .. وعندما كانت "جلاديس" على فراش الموت اعترفت بالحقيقة كاملة .

خيم صمت قصير الأمد ، لم يلبث "ريموند" أن قطعه قائلا :

– هذه قضية أخرى تسجل عبقريتك يا عمتي وإن كنت لا أدري كيف توصلت إلى الحقيقة . لم أكن أتصور قط أن يكون للوصيفة أي ضلع في القضية .

فقالت الآنسة "ماربل" باسمة في تواضع:

– ذلك لأنك يا عزيزي لم تختبر الحياة كما أتيح لي أن أختبرها . إن رجلا من طينة "جونز" مفطور على فساد الطبع ، وانحلال الخلق، وانعدام الضمير ، وعندما علمت أنه كانت في البيت فتاة حسناء أيقنت في الحال أنه لن يدعها وشأنها .. هذا شيء أليم ومحزن إلى أبعد الحدود ، ويجب ألا يخوض الإنسان فيه كثيرا ... فلنطو هذه الصفحة الأليمة .

- 2 -
سحر "عشتروت"

قالت الفنانة "**جويس لاميرير**" :

– والآن يا دكتور "**بندار**" ، ما القضية التي ستعرضها علينا لكي نحل غوامضها؟!

فابتسم القس العجوز برقة وقال :

– إن حياتي كان طابعها الهدوء ، إلا مرة واحدة مررت فيها وأنا شاب بتجربة غريبة مأساوية . إن مسرح قصتي في إقليم "**دارتمور**" في منزل في الخلاء يمتلكه صديقي السيد "**ريتشارد هايدن**" أطلق عليه اسم الغابة الصامتة ، وقد دعاني مع أصدقاء آخرين لتمضية أيام ضيوفا عليه .

وكان أبرز الضيوف "**ديانا آشلي**" فتاة المجتمع التي تميزت بجمالها الفاتن ونبرات صوتها الموسيقية ، وقد لمست من أول يوم أن السيد "**هايدن**" مفتون بها، وإن كنت لم أستطع أن أحدد شعورها نحوه ، إذ كانت تختصه يوما بكل اهتمامها ، ثم تتجاهله يوما آخر وتؤثر بهذا الاهتمام ابن عمه الشاب "**إليوت هايدن**" ، وهكذا ، حتى يحار الإنسان في تكييف حقيقة شعورها .

وفي اليوم التالي لوصولنا دعانا المضيف إلى مشاهدة المنطقة الطبيعية التي أقام فيها المنزل النائي ، وكانت من المناطق المقفرة التي تكثر فيها الحفريات الأثرية وقد اكتشفت بها أدوات برنزية من العصر الحجري . وبعد أن حدثنا السيد "**هايدن**" عن تلك الاكتشافات بحماسة الهاوي الخبير مبينا أنه قد تعاقب عليها أبناء العصر الحجري والفينيقيو ن والرومان ، أشار إلى بقعة صخرية جرداء تجاورها غابة صغيرة قائلا :

– هذه هي الغابة المعروفة بـ"**الغابة الصامتة**" ، والتي استمد منها المنزل اسمه... وهي من بقايا عهود ما قبل التاريخ ، وربما يرجع تاريخها إلى عهد استيطان الفينيقيين لهذه البلاد ... تعالوا أفرجكم عليها .

فتبعناه جميعا ، وكان السكون المطبق يُخيم على الغابة الصغيرة حتى شعرت بالانقباض والوحشة ..و قال "**هايدن**" باسما :

– هذه غابة "**عشتروت**" وفي قلبها كانت تقام طقوس مقدسة .

وهنا غمغمت "**ديانا آشلي**" وقد بدت في عينيها نظرات بعيدة حالمة :

– طقوس مقدسة ... ترى ماذا كانت هذه الطقوس ؟ !

فرد "**هايدن**" قائلا :

– في قلب الغابة معبد أطلق عليه اسم معبد "**عشتروت**" تعالوا معي .

في هذه اللحظة وصلنا إلى دائرة مكشوفة بين الأشجار في وسطها كشك حجري تقدمنا "**هايدن**" إلى داخله ... فوقع نظرنا على تمثال لامرأة جالسة على ظهر أسد ، وقد حف برأسها قرنان مقوسان ، وقال "**هايدن**" يعرفنا بها :

– هذه هي "**عشتروت**" ، ربة القمر عند الفينيقيين .

فهتفت "**ديانا**" قائلة :

– ربة القمر ... يا للمناسبة البديعة ! لنقم هذه الليلة حفلة تنكرية هنا في ضوء القمر ، ونحتفل بإحياء طقوس الإلهة "**عشتروت**" .

وأصارحكم بأنني توجست شرا من هذا المكان الغريب وشاركني بعض الضيوف هذا الإحساس، ولم يطل بنا الوقوف والتأمل ، وعدنا إلى المنزل على الفور .

ورغم ذلك فإن اقتراح "**ديانا آشلي**" بإقامة حفلة تنكرية ليلية قد تغلب في النهاية ، وعندما اجتمع شملنا حول مائدة العشاء وقد تنكر كل منا بما راق له ساد المرح أرجاء المنزل ، وتجاوبت الضحكات والدعابات في كل مكان .

وخرجنا بعد العشاء من المنزل ، وكانت ليلة حارة صافية ، وبدأ القمر يبزغ في الأفق، وأمضينا ساعة كاملة نتجول هنا وهناك ، ونتسامر بأحلى الأحاديث ، إلى أن استرعى نظرنا في النهاية أن "**ديانا آشلي**" الفاتنة ليست معنا فقال "**ريتشارد هايدن**" :

– من المؤكد أنها لم تذهب للنوم .

فقالت "**فيوليت مانرينج**" إحدى الضيفات مشيرة إلى ناحية الغابة :

– إنني رأيتها تتجه إلى هناك منذ ربع الساعة .

فقال "**ريتشارد هايدن**" :

– ترى ماذا تدبر لنا هذه الشيطانة الفاتنة ؟.. لنذهب وننظر ..

فاتجهنا جميعا إلى ناحية الغابة التي بدت سوداء . وأقول الحق إنني شعرت بانقباض ، وحدثتني النفس بقرب وقوع مكروه ... وأحسب أن بعض الضيوف كانوا يشاطروتني هذا الإحساس . ولكننا لم نكن نستطيع التراجع ، وهكذا كتمنا مشاعرنا وأخذنا نسير معا متلاصقين صامتين أو هامسين . وما كدنا نخرج من نطاق الغابة إلى الدائرة المكشوفة بين أشجارها حتى وقفنا كأننا مسمرون في أماكننا، وقد تملكنا أشد الهول ... فقد وقعت أنظارنا عند مدخل معبد "**عشتروت**" على هيكل إنسانة ملتفة بغلالة سوداء وقد برز من شعرها الغزير قرنان مقوسان ... ولم تتمالك "**فيوليت**" نفسها أن هتفت :

– يا إلهي ! هذه "**ديانا**" ماذا فعلت بنفسها ؟ إنها تبدو مختلفة عما نعرف.

ولم يلبث الهيكل القائم في مدخل المعبد أن رفع يديه ثم تقدم خطوة إلى الأمام وأخذ يترنم بصوت عال حلو النبرات :

– أنا كاهنة "**عشتروت**" ... احذروا وأنتم تقتربون مني ، فإنني أحمل الموت في يدي .

وعندئذ وثب "**هايدن**" نحوها قائلا :

– أيتها الربة "**ديانا**" ... أنت رائعة .

ولكنها هتفت محذرة :

– احترس ... لا تقترب من الإلهة ... إذا وضع أحدكم يده علي فهنا الموت .

فهتف بها "**هايدن**" قائلا :

– أنت رائعة يا "**ديانا**" ... لكن كفي الآن .. إنني لا ارتاح إلى هذا .

وتقدم نحوها فوق الحشائش مادا يده ..

فصاحت به :

– قف .. خطوة واحدة فأرميك بسحر "**عشتروت**"

فضحك "**ريتشارد هايدن**" وازداد اقترابا منها ، وعندئذ حدث فجأة شيء غريب . فقد وقف مترددا برهة ، وما لبث أن رأيناه يتعثر ، ثم يقع ممددا على الأرض ، ولم ينهض من رقدته ولكنه ظل منبطحا على الأرض مكانه وفجأة أخذت "**ديانا**" تضحك بصورة هيستيرية ... وكان صوتها غريبا مروعا تردد صداه في سكون الغابة الصغيرة .

وفي هذه اللحظة وثب "**إليوت هايدن**" إلى الأمام وهتف قائلا :

– أنا لا أحتمل هذا ... قم يا رجل .

ولكن "**ريتشارد هايدن**" بقي في رقدته ... فدنا منه ابن عمه "**إليوت**" ، وركع بجانبه ، وقلبه برفق على ظهره وانحنى فوقه ينظر إلى وجهه .

وما لبث أن نهض قائما بحركة فجائية ، ووقف يترنح قليلا ، قائلا لأحد المدعوين :

– دكتور "**سيموند**" ... تعال بالله عليك .. أظن أنه مات .

فاندفع الدكتور "**سيموند**" إلى الأمام على حين عاد إلينا "**إليوت**" متهالك الخطى ، وهو ينظر إلى يديه بطريقة لم أفهمها ...

وفجأة انبعثت صرخة مدوية من "**ديانا**" قائلة :

– إنني قتلته ... رباه ... لم أقصد هذا ولكنني قتلته .

وهوت مغمى عليها ، وتكومت فوق الحشائش .

فصرخت إحدى المدعوات مولولة :

– ابعدونا عن هذا المكان الفظيع ... ابعدونا قبل أن تحدث مصائب أخرى .

واقترب "**إليوت**" مني وشد على ذراعي قائلا :

– لا يمكن أن يحدث هذا ... لا يمكن أن يقتل إنسان على هذه الصورة .. هذا شيء ضد الطبيعة .

فقلت له أهدئ من روعه :

– لابد من وجود تفسير، لابد أن ابن عمك كان مريضا بالقلب دون أن يعرف

أحد ... فجاءت الصدمة والانفعال لكي ...

ولكنه قاطعني قائلا :

– إنك لا تعرف ...

ورفع إلي يديه ، فرأيت فيهما بقعا حمراء ... وابتدرني قائلا :

– إن "ريتشارد" لم يمت بصدمة ... إنه مات مطعونا .. مات بطعنة في قلبه ولا يوجد سلاح .

جعلت أحدق إليه و أنا لا أصدق ، وفي هذه اللحظة نهض الدكتور "سيموند" بعد فحص الجثة ، وتقدم نحونا وهو ممتقع الوجه يرتجف من رأسه إلى أخمص قدميه وقال :

– هل اختبلنا جميعا ؟ ما هذا المكان ؟ ! كيف تحدث مثل هذه الحوادث ؟!

فقلت له :

– إذن فما حدث حقيقي !!

فأومأ الطبيب برأسه قائلا :

– يبدو أن الجرح حدث بخنجر طويل مدبب ... لكن .. لايوجد أي خنجر .

فهتف "إليوت" :

– لكن لابد من أنه موجود ... لابد أنه سقط بعيدا . لنبحث عن الخنجر .

فأخذنا نحدق إلى ما حولنا بجهد في ضوء القمر الحسير .

وفجأة قالت "فيوليت" :

– لقد كان في يد "ديانا" شيء ... شيء يشبه الخنجر ، إنني رأيته يلمع في يدها وهي تهدده .

وركعت أمام الفتاة المغمى عليها ثم قالت :

– لا يوجد الآن شيء في يدها .

وتقدم الدكتور "سيموند" من "ديانا" قائلا :

– لا بد من نقلها إلى المنزل ... ساعدوني .

وتعاونا في نقل الفتاة المغمى عليها إلى المنزل .. ثم عدنا بعد ذلك إلى الغابة

المشؤومة ونقلنا جثة السيد "ريتشارد هايدن" ، وأرسلنا نستدعي البوليس وفي أثناء ذلك انتحى بي "إليوت هايدن" جانبا وقال لي :

– إنني سأعود إلى الغابة .. لابد من العثور على ذلك الخنجر .

– إذا وجد خنجر بالفعل .

فشد على ذراعي بعنف قائلا :

– أنت مثلهم تؤمن بالخرافات وتظن أن الوفاة نتيجة شيء خارق مما وراء الطبيعة ، أما أنا فإنني عائد إلى الغابة للبحث .

كنت ضد رأيه .. وحاولت جاهدا أن أثنيه عن عزمه ، ولكن بلا جدوى . كانت ليلة مروعة لم يذق فيها أحد من الضيوف طعم النوم وعندما جاء رجال البوليس لم يصدقوا شيئا مما قيل ... وحاولوا استجواب "ديانا آشلي" .. ولكن الطبيب مانع بشدة قائلا إنه أعطاها جرعة منومة بعد أن أفاقت من الغيبوبة ، وأنه لابد من تركها نائمة حتى الصباح .

ولم يفكر أحد في "إليوت هايدن" حتى كانت الساعة السابعة صباح الغد ، وعندئذ سأل الدكتور "سيموند" عنه فجأة ، ولما أبلغته بما كان من "إليوت" في الليلة الماضية ازداد وجهه امتقاعا ، وقال لي :

– ليته لم يفعل ... هذا تهور .

– هل تظن أنه أصيب بمكروه ؟ !

– أرجو ألا يكون قد حدث ذلك ... ومن رأيي أن نذهب معا للبحث عنه .

كنت آراه محقا في هذا الطلب ... ولكنني استجمعت أقصى شجاعتي للقيام بهذه المهمة ... فذهبنا إلى الغابة المشؤومة ونحن نتاديه في الطريق... وعندما وصلنا إلى الدائرة المكشوفة بين الأشجار أمسك الدكتور "سيموند" بذراعي فجأة... فقد رأينا "إليوت هايدن" ممددا على الأرض في نفس البقعة التي تمدد فيها ابن عمه "ريتشارد" في الليلة الماضية .

هتف "سيموند" :

– رباه ... إنه أصيب هو أيضا .

وأسرعنا إلى مكانه فوق الحشائش ... فوجدناه فاقد الوعي ، ولكنه يتنفس تنفسا ضعيفا ، ولم يكن هناك شك هذه المرة فيما سبب الفاجعة، فقد بقيت في الجرح أداة قاطعة طويلة رفيعة من البرنز ، وقال الدكتور "**سيموند**" :

– إنه أصيب في الكتف ، وليس في القلب ، وهذا من حسن الحظ ... لا أدري والله كيف أفكر ... على أي حال فهو لم يمت وسوف يكون في مقدوره أن يخبرنا بما حدث ، لكن هذا هو مالم يكن في مقدور "**إليوت**" أن يفعله، إذ كان كلامه مشوشا إلى أبعد حد، فقد قال إنه راح يفتش عن الخنجر ولكن بدون جدوى، وبعد أن نفض يديه من البحث وقف قليلا قرب المعبد ... وعند ذلك أيقن أن هناك من يراقبه بين الأشجار ثم شعر بريح شديدة البرودة تهب من داخل المعبد ، فاستدار لينظر إلى الداخل ، فوقع بصره على تمثال الربة "**عشتروت**" يتطاول ويزداد طولا ، وقد عزا ذلك إلى خداع البصر . وفجأة شعر بشبه ضربة فيما بين صدغيه أرسلته مترنحا على ظهره ، وشعر وهو يسقط بألم حاد ملتهب في كتفه اليسرى .

وقد تبين أن هذا الخنجر مطابق للخنجر الذي اكتشف في المنطقة الأثرية واشتراه "**ريتشارد هايدن**" .. أما أين كان يحتفظ به ، في المنزل أو في معبد "**عشتروت**" ؟ فهذا ما لم يعرفه أحد .

وكان من رأي البوليس أن "**ديانا آشلي**" هي التي طعنت السيد "**ريتشارد هايدن**" عمدا ... ولكن إزاء شهادتنا الجماعية بأنه كانت تفصل بينهما مسافة ثلاث ياردات فإن البوليس عجز عن توجيه التهمة إليها رسميا وهكذا بقي الحادث لغزا .

خيم صمت طويل بعد أن فرغ القس من قصته ... وأخيرا سألته "**جويس لامبرير**" :

– هذا شيء فظيع مروع .. أليس عندك تفسير له يا دكتور "**بندار**" ؟!

فأومأ الرجل العجوز قائلا :

– نعم ... عندي تفسير من نوع ما وهو تفسير غريب في الواقع ، وإن كان يدع

بعض النقاط يلابسها الغموض .

فقالت "**جويس**" :

– في رأيي أنه يمكن تفسير ما حدث من خلال التنويم المغناطيسي . إن "**ديانا آشلي**" أحالت نفسها إلى كاهنة للإلهة "**عشتروت**" ، وأظنها طعنت "**ريتشارد هايدن**" بطريقة ما ولعلها قذفته بالخنجر الذي رأته "**فيوليت**" في يدها .

فقال "**ريموند ويست**" بدوره :

– أو ربما قذفته بحربة ، خصوصا أن ضوء القمر لم يكن قويا ... وهنا يدخل دور التنويم المغناطيسي الجماعي فقد كنتم كلكم على استعداد لتصديق أنه صرع بواسطة قوة خفية مما وراء الطبيعة ، ونظرتم إلى الحادث بهذه العين فقال السيد "**هنري كيترغ**" مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق :

– في رأيي أنه من الممكن أن يختبئ شخص بين الأشجار ويقذف بخنجر أو حربة بدقة كافية بشرط أن يكون مدربا .. ولعلكم تتذكرون أن المصاب الثاني قرر أنه شعر كان شخصا بين الأشجار يراقبه ، أما شهادة الآنسة "**فيوليت**" بأنها رأت "**ديانا آشلي**" ممسكة بخنجر فإنكم جميعا نفيتم هذا .

أما المحامي "**باتريك**" فقد تنحنح قائلا :

– لكن بين هذه الآراء والافتراضات يبدو أننا ننسى حقيقة جوهرية : ماذا جرى لسلاح القتل ؟ ! إن الآنسة "**ديانا آشلي**" كان يستحيل عليها إخفاؤه وهي واقفة في بقعة مكشوفة .. وإذا كان القاتل المختبئ هو الذي قذف بالخنجر ، إذن لظل الخنجر في الجرح ولأمكن العثور عليه .. إذن فلا بد من نبذ التصورات النظرية والاعتماد على الحقائق المادية .

– وإلى أين توصلنا هذه الحقائق المادية ؟

– هناك شيء واضح لا خلاف عليه ... إنه لم يكن هناك أحد قرب "**ريتشارد هايدن**" عندما خر صريعا ... إذن فالشخص الوحيد الذي يمكن أن يطعنه هو نفسه أعني الانتحار في الواقع .

فقال "**ريموند ويست**" متشككا :

– لكن ما الذي يدعوه – بالله – إلى الانتحار ؟ !

فسعل المحامي ، ثم أجاب قائلا :

– هذا سؤال نظري مرة أخرى ... إنني في هذه المرحلة لا أعول على النظريات... واستبعاد لمسالة القوى الخفية الخارقة ومسائل ما وراء الطبيعة

– وهو ما لا أسلم به – فإن هذا هو تصوري المادي لما حدث : إنه طعن نفسه ، وفي سقطته انبسطت ذراعاه مما أدى إلى خروج الخنجر من الجرح ووقوعه بعيدا بين نطاق الأشجار .

وهنا تكلمت الآنسة "**ماربل**" ، فقالت :

– الحقيقة أنه لا يمكن الجزم بشيء بصورة قاطعة ... إن الوقائع محيرة في الواقع... ولكن هناك غرائب تحدث بالفعل ... بالتأكيد لاشك أن هناك طريقة واحدة تلقى بها السيد "**ريتشارد**" المسكين تلك الطعنة ، ولكنني أود أن أعرف قبل كل شيء ما الذي جعله يتعثر ويسقط ... بالتأكيد لا يبعد أنه تعثر في جذر شجرة ناتئ فوقع على الأرض .

فقد كان يتطلع إلى "**ديانا آشلي**" ، وفي ضوء القمر يمكن أن يتعثر الإنسان في أي جسم ناتئ .

فقال لها القس وهو يتطلع إليها بنظرة غريبة :

– قلت إن هناك طريقة واحدة تلقى بها السيد "**ريتشارد هايدن**" تلك الطعنة القاتلة فما هي ؟!

فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول :

– إنها قصة محزنة ، ولا أحب أن أفكر فيها وأرجو ألا يكون ذلك الشاب التعس "**إليوت هايدن**" قد أفاد من جريمته الشريرة ..

فلم يتمالك "**ريموند**" من أن يهتف قائلا :

– "**إليوت هايدن**" ... هل تظنين أنه هو الذي ارتكب الجريمة ؟ !

فردت الآنسة "**ماربل**" قائلة :

– لست أدري كيف يمكن أن يرتكبها شخص غيره ... أعني إذا أخذنا برأي الأستاذ المحامي ، واستندنا إلى الحقائق المادية ، مستبعدين جو الآلهة القديمة وغير ذلك من الترهات أن "**إليوت**" هو الذي تقدم إلى "**ريتشارد**" قبل غيره وقلبه على ظهره ، ولما كان متنكرا في زي قطاع الطرق في أثناء الحفلة فلابد أنه كان في حزامه سلاح من نوع ما ... وأذكر أنني رقصت في شبابي في أثناء حفلة تنكرية مع رجل تنكر في زي قطاع الطريق ، فكان يحمل خمس مدى وخناجر مختلفة، ولا أستطيع أن أصف لكم ما كانت تحس به شريكته في الرقص من ارتباك واضطراب .

وعندئذ اتجهت أنظارهم جميعا إلى الدكتور "**بندار**" ، فبدأ الرجل العجوز يقول:

– إنني عرفت الحقيقة بعد خمس سنوات من وقوع تلك المأساة ... وقد جاءتني في شكل رسالة تلقيتها من "**إليوت هايدن**" قال في الرسالة إنه تصور أنني كنت أرتاب فيه طوال الوقت ، وقد اعترف بأن ما حدث كان نتيجة إغراء فجائي تملكه .. فإنه أحب "**ديانا آشلي**" قبل ابن عمه "**ريتشارد هايدن**" ولكنه كان فقيرا ، وبإزاحة "**ريتشارد**" من طريقه ، وحصوله على الميراث واللقب عن ابن العم هذا كانت أمامه فرصة لا مثيل لها لتحقيق حلمه .. عندما سقط ابن عمه "**ريتشارد**" على الأرض متعثرا ، وانحنى هو فوقه ، شعر بالخنجر يصلصل في حزامه ، وقبل أن يفكر فيما هو فاعله أغمد الخنجر في قلبه وأعاده إلى حزامه ثانية ... ثم طعن نفسه في المرة الثانية؛ لكي يبعد الشبهة عنه... وقال إنه كتب هذه الرسالة ليلة ارتحاله في بعثة إلى القطب الجنوبي، احتمالا لئلا يقدر له أن يعود ...

ولا أظن أنه كان ينوي هذه العودة ، وأعتقد – كما قالت الآنسة "**ماربل**" – أنه لم يفد شيئا من جريمته ... فقد اختتم الرسالة قائلا إنه ظل خمس سنوات وهو يعيش في جحيم من وخز الضمير وإنه يرجو أن يكفر عن جريمته بميتة بطولية .

وخيم الصمت مرة أخرى ... وأخيرا قال السيد "**هنري**" :

- وكان نصيبه هذه الميتة بالفعل ... إنك غيرت الأسماء في قصتك يا دكتور "بندار" ، ولكن أظن انني أعرف الرجل الذي تقصده .

فاستطرد القس قائلا :

- ومع ذلك فلا ازال أشعر بانه كان هناك تاثير شرير يبسط ظلاله على تلك الغابة المشؤومة ، تاثير كان هو المحرك للشاب "**إليوت هايدن**" للإقدام على جريمته وما زلت حتى اليوم لا أستعيد ذكرى فاجعة معبد "**عشتروت**" بدون أن أشعر بقشعريرة تسري في بدني .

- 3 -
شحنة الذهب

قال "**ريموند**" لأعضاء "**ندوة الثلاثاء الليلية**" .

- سأقص عليكم بدوري وقائع قضية غريبة حدثت منذ عامين ، عندما ذهبت إلى مقاطعة "**كورنوال**" لتمضية أسبوع "**عيد العنصرة**" عند شخص يدعى "**جون نيومان**" في قرية "**بولبيران**" التي تقع على الشاطئ الغربي ، وهي منطقة صخرية موحشة ... وكنت قد تعرفت به منذ أسابيع قليلة ، ووجدته شخصية طريفة ذا ميول رومانتيكية ، كان حجة في التاريخ المعاصر للملكة "**إليزابيث**" وعندما سمعته يحدثني بإفاضة وحماسة عن إبادة أسطول "**الأرمادا**" الإسباني في ذلك العهد ، خُيّل إلي انه كان من شهود هذه المعركة الشهيرة .

وهنا قالت الآنسة "**ماربل**" وهي تنظر إلى ابن أخيها بمودة :

- أراك بدأت تتأثر بالطابع الرومانتيكي يا بني ...

فقال "**ريموند**" بامتعاض :

- هذا آخر شيء في طباعي ... ولكن كلام "**نيومان**" هذا ألهب خيالي ..

فقد حدث أن سفينة معينة من سفن أسطول "**الأرمادا**" محملة بشحنة كبيرة من الذهب الخاص بـ "**إسبانيا**" تحطمت على شاطئ "**كورنوال**" عند صخور "**سربنت روكسي**" الغادرة .. وقد حدثني "**نيومان**" أنه منذ سنوات عديدة بذل محاولات لانتشال الذهب الغارق ، وقد أنشئت شركة للقيام بهذا العمل ولكنها أفلست ، واستطاع "**نيومان**" أن يشتري حقوق القيام بهذه العملية، وكان من رأيه أن الاستعانة بالأساليب العلمية والآلات الحديثة كفيلة بتحقيق هذا الغرض. والحقيقة أن حماسة "**نيومان**" سرت إلى نفسي وضاعفت من حماستي لمشاهدة هذه العملية عن كثب ، إنني كنت وقتئذ منهمكا في كتابة رواية جديدة تقع بعض احداثها في القرن السادس عشر ، ورأيت الفرصة سانحة للحصول على المادة اللازمة في هذا المكان التاريخي .

وهكذا سافرت من "**لندن**" بالقطار في صباح يوم الجمعة وأنا ممتلئ حماسة وشوقا .. وكانت المركبة خالية إلا من رجل جلس في الركن المواجه إليّ يلوح عليه الطابع العسكري . وخُيّل إليّ أنني رأيته من قبل . وبعد أن شحذت ذاكرتي فترة تذكرت أنه مفتش البوليس السري "**بادجويرث**" وكنت قد التقيت معه في أثناء كتابتي في سلسلة من المقالات في قضية اختفاء شغلت الأذهان في حينها ، ولم اتوان في تقديم نفسي إلى مفتش البوليس السري وبعد برهة كنا نتحدث كصديقين وعندما أخبرته بانني ذاهب إلى قرية "**بولبيران**" قال إنها - ولاشك - مصادفة غريبة لانه هو أيضا ذاهب إلى نفس القرية .... ولكنني لم أشأ أن أتطفل عليه بالأسئلة عن مهمته ، وحدثته بدلا من ذلك عن سبب اهتمامي بهذه البقعة ، مشيرا إلى سفينة الذهب الإسبانية الغارقة فوجدته - لدهشتي - يعرف كل شيء عنها ، حتى إنه قال :

- إنها السفينة "**جوان فرنانديز**" ... إن صديقك لن يكون آخر شخص يغرق أمواله في البحر لانتشال المال منه .

فقلت للمفتش :

- الا ترى أن الخيال لعب دورا كبيرا في هذه القصة ؟ !

– لكن السفينة غرقت هناك – ولاشك في ذلك – مع سفن أخرى غيرها ، ولعلك تدهش حين تعرف أن سفنا كثيرة تحطمت وغرقت على هذا الشاطئ الصخري ... والحقيقة أن هذا الموضوع هو سبب ذهابي الآن إلى هناك حيث تحطمت السفينة "**أوترانتو**" وغرقت منذ ستة أشهر فقط .

فقلت للمفتش :

– أذكر أنني قرأت هذا الحادث ولكنه لم يقترن بغرق أحد .

– صحيح .. ولكن يغرق شيء آخر ... فهناك مسألة لم يعرفها الكثيرون ، وهي أن السفينة "**أوترانتو**" كانت تحمل شحنة من الذهب .

فقلت وقد أثار اهتمامي :

– أحقًا ؟ .

– نعم .. وبالتأكيد كلفنا غواصين بالعمل لانتشال الذهب ... ولكننا وجدناه قد اختفى ..

فحدقت إلى المفتش قائلا :

– اختفى ... وكيف يمكن أن يختفي ...

– هذه هي المعضلة ... إن الصخور أحدثت ثغرة في عنبر السفينة وكان من السهل أن ينفذ منها الغواصون إلى داخل العنبر، ولكنهم وجدوه خاويا. والسؤال المطروح هو : هل سرق الذهب قبل غرق السفينة بالفعل أم بعد غرقها ؟ وهل كان الذهب في السفينة بالفعل ؟

– هذه قضية غريبة .

– هي قضية غريبة كما تقول .. فإن شحنة الذهب ليست كعقد الماسي يمكن وضعه في الجيب .. إنها شيء ضخم كبير الحجم يستحيل اختفاؤه هكذا ببساطة... ولا يبعد أنه حدث عبث وتلاعب قبل إبحار السفينة وإذا لم يكن هذا، فلا بد أن شحنة الذهب قد انتشلت في غضون الأشهر الستة الماضية ... وأنا ذاهب إلى هناك للبحث والتحري .

ومهما يكن فإنني وجدت "**نيومان**" في انتظاري في المحطة .

وقد اعتذر لي عن عدم وجود سيارته التي تعطلت وأرسلها للإصلاح ، وجاء في سيارة نقل تابعة لمزرعته .

وهكذا صعدت إلى جانبه وسار بنا "**اللوري**" بطيئا في شوارع قرية الصيادين الضيقة المتعرجة . وسلك اللوري طريقا آخذا في الارتفاع حتى انتهى بنا إلى درب متعرج .

قام في نهايته بيته الثاني المعروف باسم "**بول هاوس**" .

كان في الواقع بيتا جميلا شيد فوق ربوة صخرية عالية تطل على البحر.. ورغم قدمه فقد أضيف إليه جناح عصري حديث ، وامتدت مزرعة مساحتها حوالي عشرة أفدنة . وكانت ليلتي الأولى بديعة تستهوي النفس، وقد أطلعني مضيفي على مخطوطات قديمة خاصة بالسفينة الإسبانية "**جوان فرنانديز**" ، وبسط أمامي خرائط ملفوفة شرح لي معالمها بإسهاب ، كما أطلعني على رسوم لأجهزة غوص أعترف لكم بأنها أزكت خيالي إلى حد بعيد .

ولما حدثته عن لقائي مع مفتش البوليس السري "**بادجويرث**" أبدى اهتماما كبيرا وقال معقبا :

– إن أهل هذه المنطقة الساحلية ذوو طباع غريبة بالفعل ، وإن التهريب والاستيلاء على الحطام يجريان في دمائهم ، وعندما تتحطم سفينة على شاطئهم وتغرق يعدونها غنيمة مشروعة لهم وهناك شخص منهم أود أن تراه وسوف تجد فيه نموذجا طريفا للماضي .

وفي اليوم التالي رافقني إلى القرية ، وعرفني بالغواص التابع له المدعو "**هيجنز**" وكان شخصا جامد الملامح قليل الكلام ... وبعد مناقشة فنية بينهما في أعمال الغوص ذهبنا إلى مقهى "**المراسي الثلاثة**" ، حيث حل الشراب عقدة لسان الغواص ، إذ قال لمخدومه :

– إن مفتش بوليس سري جاء من "**لندن**" ويقال إن السفينة التي غرقت هنا في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي كانت تحمل شحنة من الذهب . على أي حال ليست هي أول سفينة من هذا النوع ، ولن تكون آخر سفينة .

وهنا تدخل صاحب المقهى قائلا :

– صدقت يا "**بيل هيجنز**" ..

فرد عليه "**هيجنز**" قائلا :

– إنني عند كلمتي دائما يا سيد "**كيلفين**" .

كان صاحب المقهى غريب الملامح ، بوجهه الاسمر ، وكتفيه العريضتين ، وعينيه المحتقنتين ونظراته المذبذبة ، حتى أدركت على الفور انه هو صاحب الشخصية الغريبة التي تكلم عنها "**نيومان**" وما لبث ان قال في وقاحة :

– إننا لا نريد أغرابا يتدخلون في شؤوننا على هذا الشاطئ .

فسأله "**نيومان**" باسما :

– تقصد البوليس ؟!

فاجاب "**كيلفين**" بلهجة ذات مغزى :

– البوليس وغيره .. ارجو ألا تنسى هذا يا سيد .

ولم اتمالك نفسي من أن اقول لضيفي ونحن نرتقي التل عائدين إلى البيت الثاني :

– هل تعرف يا "**نيومان**" أن لهجة صاحب المقهى بدت في سمعي اقرب إلى التهديد ؟!

فضحك صديقي قائلا :

– كلام فارغ ... إنني لا ابادر الأهالي هنا باي سوء ...

هززت رأسي متشككا فقد احسست بوادر تنذر بالشر في مسلك "**كيلفين**" وهيئته وأعتقد أن أسباب قلقي بدأت منذ هذه المناسبة .

كان نومي متقطعا ومضطربا هذه الليلة ، على نقيض ليلتي الاولى ، وفي صباح يوم الأحد تغير الطقس فجأة وبدا منذرا بالأمطار والرعود . وفي فترة بعد الظهر دعاني "**نيومان**" إلى نزهة في قاربه البخاري ، ولكن الامطار هطلت فجأة حتى كان من دواعي سروري أن نعود إلى الشاطئ لتغيير ملابسنا .

وفي المساء شعرت بقلقي يتزايد .. فقد كانت العاصفة تزداد عنفا في الخارج

على أنها لم تلبث أن هدأت حوالي العاشرة مساء فاطل "**نيومان**" من النافذة وقال لي :

– إن الطقس بدأ يصفو وأراهن أنه لن يمضي نصف الساعة حتى تكون الليلة بديعة وفي هذه الحالة سأخرج للقيام بنزهة .

فقلت متثائبا :

– أما أنا فاشعر بميل شديد إلى النوم ... إنني لم أنم كفايتي في الليلة الماضية، وأظن أنني سآوي إلى الفراش مبكرا ، وهذا ما فعلته فقد نمت نوما عميقا هذه الليلة ، وإن تخللته الأحلام المزعجة .

وعندما استيقظت كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحا ، وقد شعرت بصداع مؤلم؛ نتيجة لتأثير الأحلام المفزعة التي خالطت نومي .

اتجهت إلى النافذة محاولاً تخفيف ما أشعر به ، على أنني ما كدت افتحها حتى تجددت مشاعر الفزع في نفسي إذ كان أول مشهد صادفته عيناي هو مشهد رجل يحفر قبرا مفتوحا .

وانتظرت دقيقتين حتى تمالكت نفسي ثم تبينت في النهاية أن من تصورت أنه حفار قبور لم يكن سوى بستاني "**نيومان**" ، وأن القبر لم يكن سوى حفرة لغرس ثلاث أشجار ورد جديدة كانت ملقاة على الحشائش تنتظر وضعها في الحفر .

تطلع البستاني إلى ناحيتي وبادرني بالتحية قائلا :

– إن الطقس بديع هذا الصباح . فرددت تحيته مؤمنا على كلامه ، وإن لم يفارقني شعور الانقباض الذي كان يلازمني .

ومهما يكن فإنني نزلت إلى الدور الأرضي لتناول الفطور .. ولم يكن عند "**نيومان**" نساء للخدمة في بيته ، ولكن كانت تأتيه شقيقتان عانستان من المزرعة القريبة تتوليان تلبية مطالبه المحدودة .. وكانت إحداهما تصب القهوة لدى دخولي، فحييتها قائلا :

– طاب صباحك يا "**إليزابيث**" ... ألم ينزل "**نيومان**" بعد .

فردت قائلة :

– لابد أنه خرج مبكرا يا سيدي .. فإنه لم يكن في المنزل عندما وصلنا .

وفي الحال عاودني القلق ، ففي اليومين السابقين نزل "**نيومان**" لتناول الفطور معي ، ولم أعهده مبكرا في الاستيقاظ من النوم، وقد دفعتني هذه المخاوف إلى الإسراع إلى الصعود إلى غرفة نومه .. وإذا بي أجدها خالية ، كما أن فراشه بدا مرتبا وكأنه لم ينم فيه ليلته، وازدادت مخاوفي عندما اكتشفت شيئا آخر : إذا صح أن "**نيومان**" قد خرج للقيام بنزهة ، فلابد أنه خرج مرتديا ملابس السهرة، لأنني لم أجدها في الغرفة !!

تأكدت الآن أن مخاوفي لها ما يبررها : إن "**نيومان**" خرج للقيام بنزهة ليلية كما قال لي ، ولكنه لم يعد لسبب ما .. فهل وقع له حادث ؟ ! هل سقط من فوق الصخور العالية ؟

لابد من البحث في الحال !!

وهكذا لم تمض ساعات حتى جمعت فريقا من المساعدين ، وأخذنا نبحث في كل مكان بين الصخور .. ولكننا لم نعثر له على أثر .

وعندما تملكني اليأس في النهاية لم أجد إلا أن ألجأ إلى المفتش "**بادجويرث**" ... وما إن استمع إلى قصتي حتى علاه الوجوم ، وقال :

– يبدو لي أن هناك شرا مبيتا .. هناك أناس لا يتورعون عن شيء في هذه المنطقة .. هل قابلت "**كيلفين**" صاحب مقهى "**المراسي الثلاثة**" ؟!

ولما أجبت بالإيجاب قال المفتش :

– هل تعرف أنه محكوم عليه بالسجن ، أربع سنوات بتهمة العنف والإتلاف؟

– إن هذا لن يدهشني .

– إن الرأي السائد هنا هو أن صديقك "**نيومان**" يدس أنفه في شؤون لا تعنيه ، وأرجو ألا يكون قد أصابه مكروه .

وعلى أية حال فقد واصلنا البحث عن "**نيومان**" بهمة مضاعفة ، وحوالي العصر أثمرت مساعينا الجاهدة في النهاية .. فقد عثرنا عليه في حفرة عميقة في ركن ناء في مزرعته .. وكان مقيد اليدين والقدمين ، وعلى فمه منديل محكم لمنعه من

الصراخ والاستنجاد .

كان المسكين مضعضعا وفي حالة يرثى لها . ولكن بعد أن أسعفناه بالتدليك وجرعات قوية من الشراب استطاع أخيرا أن يحكي لنا قصته . قال إنه خرج حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا للقيام بنزهة بعد أن صفا الطقس وقادته قدماه إلى بقعة بين الصخور تعرف باسم "كهف المهربين" تنتشر فيها مغارات كثيرة متشابهة .... فاسترعى نظره بعض الرجال ينزلون شيئا من قارب صغير ، وتقدم منهم مستطلعا ...

وكان الشيء الذي ينزلونه كبير الحجم ، وكانوا يتجهون به إلى أحد الكهوف.

وزاد ذلك من فضول "**نيومان**" حتى أخذ يقترب من الرجال لكي يتبين ما يفعلون دون أن يفطنوا إلى وجوده .

وفجأة تعالت صيحة انزعاج ، وفي الحال انقض عليه رجلان قويان ممن يعملون في البحر وغيباه عن الوعي ..

ولما أفاق الفتى نفسه ممددا في سيارة نقل راحت تمضي بهم جميعا وهي تهتز وتتارجح في درب يؤدي من الساحل إلى القرية ... وكم كانت دهشته عندما وجد سيارة النقل تدخل بهم من بوابة منزله . وبعد نقاش هامس بين الرجال رفعوه من مكانه مقيدا مكمما ، وألقوا به في حفرة عميقة تجعل اكتشافه غير ممكن إلى حين ، ثم واصل اللوري سيره وخرج من بوابة أخرى في دائرة المنزل أقرب إلى القرية بنحو نصف الكيلومتر ... ولم يستطع "**نيومان**" أن يعطي أوصاف مهاجميه أكثر من أنهم من رجال البحر ، ومن أبناء مقاطعة "**كورنوال**" طبقا للهجتهم .

وعندئذ هتف المفتش "**بادجويرث**" وقد اشتد اهتمامه :

– ثقوا بأن هذا المكان هو الذي أخفوا فيه الذهب .. لابد أنهم انتشلوا الشحنة بطريقة ما من السفينة الغارقة وأودعوها أحد الكهوف المنعزلة ... ومن المعروف أننا فتشنا جميع المغارات في منطقة "**كهف المهربين**" وأننا قائمون بتوسيع دائرة التفتيش ، والظاهر أنهم كانوا ينقلون الشحنة ليلا إلى كهف نكون قد فتشناه ، ولا

يحتمل أن نعود إلى تفتيشه ... ولسوء الحظ أنهم سبقونا الآن بنحو ثماني عشرة ساعة لإخفاء الشحنة وما داموا قد أسروا السيد "**نيومان**" في الليلة الماضية ، فإنني أشك في أنه سيكون في وسعنا العثور على الشحنة الآن .

وقد أسرع المفتش للقيام بتفتيش جديد في ذلك المكان فاكتشف آثارا تدل على إيداع شحنة الذهب في إحدى المغارات، ولكنها نقلت من مكانها الجديد مرة أخرى، ولم يجد أثراً يرشد إلى المخبأ الجديد ،ولكن كان هناك مع ذلك أثر توصل إليه المفتش ، وحدثني عنه في صباح اليوم التالي قائلا :

– إن ذلك الدرب الذي سلكه اللوري غير مطروق إلا نادرا ، وقد عثرنا في بعض مواضع منه على آثار إطارات ظاهرة تماما .... كانت هناك علامة مثلثة في أحد الإطارات ، وبدت واضحة تماما، وقد تبين منها دخول اللوري إلى البوابة ، وخروجه من البوابةالأخرى ، وهذا مما يقطع بأنها سيارة النقل التي نبحث عنها، والسؤال المطروح الآن هو : لماذا خرجوا باللوري من البوابة الأخرى ؟!

يبدو لي أن اللوري جاء من القرية ... وإذا كان الأمر كذلك ، فليس في القرية سوى أشخاص معدودين يمتلكون لوريات ، وهم اثنان ، أو ثلاثة على الأكثر ، منهم "**كيلفين**" صاحب مقهى " **المراسي الثلاثة** " .

فقال "**نيومان**" :

– وماذا كانت مهنة "**كيلفين**" الأصلية ؟

– غريب أن تسألني هذا السؤال يا سيد "**نيومان**" .

تبادلت النظر مع "**نيومان**" ... لقد بدأ اللغز يتكشف شيئا فشيئا ، وما لبث المفتش أن سأل صديقي :

– ألم تتعرف "**كيلفين**" بين الرجال الذين رأيتهم على الشاطئ ؟!

فهز "**نيومان**" رأسه ، وقال بلهجة الأسف :

– لا أظن أنني أستطيع أن أجزم بهذا .

وقد جاملني المفتش ، وصحبني إلى مقهى "**المراسي الثلاثة** " .. وكان الجراج الملحق به في طريق جانبي وأبوابه مغلقة ، ولكننا وجدنا في حارة ملاصقة بابا

صغيرا مفتوحا . ولم يستغرق بحث المفتش طويلا ، إذ هتف قائلا :

– لقد توصلنا إليه والله ... هذه هي العلامة المثلثة واضحة كالشمس في إطار العجلة الخلفية اليسرى ... الآن لن تستطيع يا سيد "**كيلفين**" أن تتنصل من هذا الموقف . وعند هذا الحد توقف "**ريموند ويست**" عن إتمام القصة فالتفتت إليه صديقته الفنانة الحسناء "**جويس**" قائلة :

– خيرا ... لا أظن بعد هذا أن هناك معضلة في هذه القصة .. اللهم إلا إذا كانوا قد عجزوا عن التوصل إلى مخبأ الذهب .

فأجاب "**ريموند**" :

– إنهم لم يعثروا على الذهب بالتأكيد .. ولم يتوصلوا إلى إدانة "**كيلفين**" أيضا .. وفي ظني أنه كان أكثرهم دهاء ومكراً وإن كنت لا أعرف كيف تحقق له هذا . لقد قبض عليه بالفعل على أساس علامة الإطار المثلثة .

ولكن حدثت ثغرة غريبة عجز أمامها البوليس فقد كان أمام باب الجراج العمومي كشك صغير مؤجر لسيدة فنانة كانت هذه الفنانة مريضة منذ أسابيع، وكانت تشرف على علاجها ممرضة جلست ساهرة تلك الليلة قرب النافذة المفتوحة وقد شهدت بأن اللوري لا يمكن أن يغادر الجراج المواجه دون أن تراه وأقسمت على أنه لم يخرج من الجراج تلك الليلة بالمرة .

فقالت "**جويس**" :

– لا أظن أن هذه معضلة .. فلا شك أن الممرضة غفلت واستولى عليها النوم، كما هو شأن أغلب الممرضات .

فرد عليها "**ريموند**" قائلا :

– هناك الفنانة ذاتها .. فقد شهدت بأنها كانت تعاني آلاماً هذه الليلة حتى ظلت مستيقظة أكثر الليلة ، وكان من المؤكد أن تسمع خروج اللوري من الجراج خصوصا أن له ضجيجا لا تخطئه الأذن في سكون الليل ... وهو ما لم يحدث .

فقال القس الدكتور "**بندار**" :

- وهل اثبت "كيلفين" وجوده بعيداً عن مكان الحادث وقت وقوعه ؟!

- لقد قرر أنه كان في فراشه منذ الساعة العاشرة ليلا حتى الصباح ، ولكنه لم يستطع ان يقدم شهودا يؤيدونه .

فالتفت "ريموند" إلى مدير البوليس السابق قائلا :

- وما رأيك يا سيد "هنري" ؟

فأجاب السيد "هنري" باسما :

- الحقيقة أنني أعرف معلومات عن هذه القضية ولذلك افضل الا اتكلم .

فقال "ريموند" :

- لم يبق إلا عمتي "جين" .. اليس لديك ما تقولينه بصدد هذه القضية ؟

فأجابت الآنسة "ماربل" :

- ساتكلم بعد دقيقة يا عزيزتي .. إنني أخطأت في عد الغرز ... وساتكلم بعد تصحيح العدد .

ولما عاد "ريموند" يسالها رأيها قالت :

- إنك لن ترتاح إلى رأيي يا عزيزي ... إن الشباب لا يحبون عادة رأي الكهول ... الأفضل الا اتكلم ..

- كلام فارغ يا عمتي "جين" ... هيا قولي لنا رأيك .

فوضعت الآنسة "ماربل" الخيوط وإبرة التريكو جانبا وتطلعت إلى ابن أخيها قائلة :

- لا باس يا عزيزي "ريموند" ... في رأيي أنه خير لك أن تدقق في اختيار أصدقائك .. فأنت شاب سريع التصديق ، سهل الانخداع وأظن ان السبب في ذلك أنك كاتب ، ولك خيال واسع .. بالتلك القصة عن سفينة الذهب الغارقة ! لو أنك كنت أكبر سنا لالتزمت الحذر أكثر من هذا مع رجل لم تتعرف به إلا من أسابيع معدودة .

وفجأة ضج السيد "هنري" بالضحك ، وضرب على ركبته قائلا :

- لقد وقعت في الفخ هذه المرة يا "ريموند" ... اما انت يا آنسة "ماربل"

فإنك عبقرية لا مثيل لها ... اعلم يا بني أن صديقك "نيومان" الذي رويت قصته ، له اسم آخر بل أسماء متعددة في الواقع وهو الآن ليس في مقاطعة "كورنوال" ، بل في مقاطعة "ديفونشير" ، في سجن "دارتمور" . إننا لم نقبض عليه بسبب قضية شحنة الذهب المسروقة، بل بسبب السطو على الخزانة الرئيسية في أحد بنوك "لندن" ... وعندما بحثنا سجله الماضي استطعنا أن نعثر على جانب كبير من الذهب المسروق من البنك مدفونا في حديقة بيته المسمى "بول هاوس" . كانت فكرته في الواقع بارعة ... فعلى امتداد شاطئ "كورنوال" هناك قصص منتشرة عن السفن المحطمة الغارقة بما فيها من ذهب . هذه القصص تفسر حكاية الغواصين ، ويمكن أن تفسر فيما بعد سبب وجود ذهب البنك عنده ... ولكنه كان محتاجا لكبش فداء ، وكان "كيلفين" هو الكبش المثالي الذي وفى بالغرض ... والواقع ان "نيومان" ادى تمثيليته الكوميدية ببراعة وحذق ، وقام صديقنا "ريموند" الروائي الشهير بدور المشاهد الذي لا تنقض شهادته .

فقالت "جويس" معترضة :

- لكن مسالة علامة إطار اللوري .

فتولت الآنسة "ماربل" البيان قائلة :

- إنني فطنت إلى هذه النقطة في حينها ياعزيزي .

وإن كنت لا أعرف شيئا عن سيارات النقل لكن تغيير الإطارات مسالة معروفة . ومن السهل نزع عجلة اللوري الخاص بـ"كيلفين" وإخراجها من الباب الجانبي الصغير في الحارة وتركيبها في اللوري المملوك للسيد "نيومان" ثم الخروج باللوري من إحدى البوابتين إلى الشاطئ ، ونقل الذهب إليه وإحضاره إلى المنزل عن طريق البوابة الثانية وبعد ذلك كان من السهل إعادة العجلة المملوكة إلى اللوري الخاص به ، في الوقت الذي تكفل فيه أحدهم بتقييد السيد "نيومان" ووضعه في الحفرة . وأظن أن الرجل الذي ادعى أنه البستاني هو الذي تكفل بهذه العملية .

فقال "ريموند" بلهجة التعجب :

– ولماذا تقولين : ادعى أنه بستاني ؟

فأجابت الآنسة "**ماربل**" :

– حسنا . لا يمكن أن يكون بستانيا حقيقيا؛ لأن البستانيين لا يعملون في يوم الاثنين الموافق "عيد العنصرة" ، كما هو معروف لنا جميعا . وطوت الآنسة "**ماربل**" خيوطها وإبرتها قائلة : في الواقع أن هذه الحقيقة الصغيرة هي التي أتاحت لي السير في الوجهة السليمة وعندما تصبح رب بيت يا عزيزي وتكون لك حديقتك الخاصة ، فسوف تعرف جيدا هذه المسائل اليسيرة .

- 4 -
بقع الدم

قالت "**جويس لامبرير**" الفتاة الحسناء لضيوف الندوة :

– حدثت هذه القصة الغريبة منذ خمس سنوات ، ورغم ذلك فإنها لاتزال تطالعني إلى الآن باستمرار ... ومسرح القصة في "**راشهول**" ، وهي قرية صغيرة من قرى صيد الأسماك في مقاطعة "**كورنوال**" تمتاز بمشاهدها الطبيعية الخلابة ، وقد قصدت إليها لرسم لوحة عن موقعها الفريد ، وقضاء أسبوعين بين ربوعها لهذا الغرض . وكان في القرية فندق عتيق اسمه "**بولها رويت آرمز**" كان يقال إنه المبنى الوحيد الذي بقي في القرية بعد أن دمر الإسبان شواطئ المنطقة بمدافع سفنهم المغيرة منذ مئات السنين .

والفندق ذاته مبنى جميل أثري به مدخل قائم على أربعة أعمدة . وقد اخترت موقعا جميلا قريبا منه ووضعت أدوات الرسم لأبدأ في رسم لوحتي المنشودة عندما توقفت قريبا مني سيارة نزل منها رجل وامرأة .. وبعد أن غاب الرجل في الفندق برهة عاد إلى السيارة ، وقادها إلى ناحية رصيف الميناء حيث تركها ، ومر بي عائدا إلى الفندق .. و في نفس الوقت جاءت سيارة أخرى من ناحية التل تشق طريقها بصعوبة في الحواري الضيقة المتعرجة ، ثم هبطت منها

امرأة في فستان مشجر زاهي الألوان ، وعلى رأسها قبعة عريضة من القش ذات لون أحمر صارخ .

ولكن هذه المرأة لم تتوقف أمام الفندق ، بل واصلت قيادة السيارة إلى أقصى الحارة حيث نزلت منها أمام فندق آخر : وما إن لمحها الرجل حتى صاح يناديها في دهشة :

– "**كارول**" ..؟ تصوري أننا نلتقي من دون الأمكنة كلها في هذه البقعة النائية .. إنني لم أرك منذ سنوات . معي هنا "**مرجريت**" زوجتي .. لابد أن تأتي لمقابلتها .

وسارا جنبا لجنب ، إلى حيث خرجت المرأة الأولى للقائهما .. وكنت قد ألقيت نظرة عابرة على ملامح المرأة المدعوة "**كارول**" وهي تمر بي ، فرأيت وجهها تعلوه المساحيق ، وفمها مصبوغا باللون القرمزي الصارخ ، حتى إنني لم أتمالك نفسي أن عجبت ، كيف تسر زوجة الرجل بلقاء امرأة مثلها ؟

وقد سمعتهم من مكاني يتبادلون الحديث عن السباحة فكان الزوج الذي سمعت أن اسمه "**دنيس**" يفكر في استئجار قارب والطواف به حول الشاطئ حيث يوجد كهف شهير يستحق المشاهدة ... وكانت "**كارول**" تريد مشاهدة الكهف أيضا ، ولكنها فكرت أن تسير على امتداد الشاطئ الصخري لكي تشهد الكهف من ناحية البحر؛ نظرا لكراهيتها لركوب البحر .. وفي النهاية تم الاتفاق بينهم على أن تسير "**كارول**" على امتداد الشاطئ لكي تقابلهما عند الكهف على حين يستقل "**دنيس** و "**مرجريت**" القارب ويقابلانها هناك .

وقد أثار حديثهم عن السباحة شوقي إليها ... وكان الصباح حارا ، ولم أكن موفقة في الرسم ، وقدرت أنني أستطيع في ضوء الشمس وقت العصر أن أجيد عمليتي . وهكذا طويت أدواتي وقصدت إلى بقعة في الشاطئ كنت اخترتها لنفسي من قبل ، وكانت الناحية المواجهة لموقع الكهف ... وبعد استمتاعي بالسباحة تناولت غداء خفيفا ثم عدت وقت العصر مجددة النشاط والحماسة لاستئناف رسم لوحتي .

اخترت بقعة أمام الفندق كانت لأشعة الشمس فيها ظلال رائعة تجعل مشهد الفندق كلوحة فنية آية في الروعة ... وقد استخلصت أن فريق السباحة الثلاثي عاد من الرحلة بأمان؛ لأني رأيت ثوبي استحمام منشورين في الشرفة لكي يجفا : أحدهما قرمزي، والثاني أزرق قاتم .

وفي أثناء انهماكي في الرسم رفعت رأسي فجأة ، ولمحت شخصا مستندا إلى أحد الأعمدة عند مدخل الفندق وكأنه ظهر في مكانه بسحر ساحر ، وكان يرتدي ملابس رجال البحر ، ولعله أحد الصيادين ، ولكن كانت له لحية طويلة سوداء ذكرتني بالقراصنة الإسبان . كان مشهدا فريدا في الواقع ، حتى إنني لم أتمالك نفسي أن أدخلته في دائرة اللوحة وجعلت أرسمه بحماسة منقطعة النظير قبل أن يغير وقفته تلك ثم تحرك الرجل أخيرا ، ولكن بعد أن فرغت من رسم وقفته ... وتقدم إلى ناحيتي وبادرني بالحديث قائلا :

– إن قرية "**راشهول**" مكان جذاب بالفعل .

ومع أنني أمنت على كلامه ، إلا أنني مضيت في إتمام الرسم بهمة مضاعفة وهو يقص علي قصة تدمير القرية على أيدي الإسبان وما سال فيها من دماء .

والغريب أنني انفعلت بكلام الرجل حتى وجدتني قد رسمت شيئا لم يكن موجودا أمام ساحة الفندق . .رسمت دماء تسيل في الطريق ، وعجبت كيف غلبني الخيال حتى سجلت فرشاتي شيئا لم تبصره عيناي .. ولكنني عندما اتجهت بنظري إلى ناحية الفندق مرة ثانية تلقيت صدمة جديدة .. إذ إن يدي كانت قد سجلت ما رأته عيناي بالفعل وهو بقع من الدم على أرضية الحارة البيضاء . جعلت أحدق فترة ثم أغمضت عيني وأنا أقول لنفسي : "لاتكوني بلهاء" .. ليس هناك شيء في الواقع" وفتحت عيني ولكن بقع الدم كانت لاتزال موجودة .

شعرت بأنني لن أحتمل هذا ... فقاطعت الصياد الذي كان ماضيا في ثرثرته عن اعتداءات الإسبان الماضية على القرية والدماء التي سفكوها ، وقلت له :

– قل لي ... إن نظري ليس على ما يرام .. هل هذه بقع دم على البلاط هناك؟!

فنظر إلي الرجل في وداعة قائلا :

– لا دماء في هذه الأيام يا سيدتي .. إن ما قلته لك قد حدث منذ خمسمائة سنة .

– نعم ... ولكن الآن ... على بلاط الحارة ..

وتوقفت الكلمات على لساني . وفي هذه اللحظة رأيت الشاب الذي جاء في السيارة في ذلك اليوم يخرج من الفندق ، ووقف يتطلع حوله تعلو وجهه أمارات الحيرة ثم خرجت زوجته إلى الشرفة التي وقف تحتها وجمعت ثوبي السباحة ... وقد سار الشاب إلى ناحية السيارة ولكنه استدار فجأة وجاء إلى ناحية الصياد وقال له :

– قل لي يا صاحبي ... هل تعرف إذا كانت السيدة التي جاءت في السيارة الأخرى الواقفة هناك قد رجعت إلى الفندق ؟!

– السيدة ذات الفستان المشجر .. لا ياسيدي إنني لم أرها ... إنها ذهبت صباح اليوم من ناحية الصخور في اتجاه الكهف .

– أعرف .. أعرف، إننا سبحنا كلنا هناك معا ، ثم تركتنا عائدة ولم أرها بعد ذلك .. لا يمكن أن تستغرق كل هذا الوقت . إن الصخور هناك ليست خطرة أليس كذلك ؟ .

– المسألة تتوقف على الطريق الذي تسلكه ... إن أفضل طريقة هي أن تصاحب شخصا يعرف المكان .

وكان الصياد يقصد شخصه بالتأكيد ، وراح يتوسع في هذه النقطة ، ولكن الشاب قاطعه بغير مجاملة ، وأسرع عائدا إلى الفندق ونادى زوجته وهي في الشرفة قائلا :

– اسمعي يا "**مرجريت**" ... إن "**كارول**" لم تعد . غريب هذا بالفعل .

ولم أستطع أن أسمع "**مرجريت**" ، ولكن زوجها أضاف قائلا :

– على أي حال لا يمكننا الانتظار أكثر من هذا لابد لنا أن نتابع السير إلى "**بنريثار**" .. هل أنت مستعدة ؟ سأدير السيارة .

وفعل هذا ... وبعد قليل مضت بهما السيارة مبتعدة وجمعت أنا أدوات الرسم، وذهبت إلى الفندق الصغير ، وأخذت أفحص بلاط الحارة بإمعان ... لم تكن هناك بقع دم بالتأكيد ... كان ما رأيته لونا من خداع البصر والخيال ومع ذلك لم أشعر بالراحة والسكينة . وفي وقفتي هذه سمعت صوت الصياد من كثب يقول وهو كمن يتفرس في بصورة غريبة :

– هل ظننت يا سيدتي أنك رأيت بقع دم هناك ؟

ولما أومأت إيجابا قال الصياد :

– هذا شيء غريب .. غريب جداً ... عندنا عرافة هنا تقول إنه إذا شاهد أحد تلك البقع الدموية ، يقع حادث وفاة في خلال أربع وعشرين ساعة .

شعرت بقشعريرة في جسدي ... على حين مضى الصياد يقول :

– هناك لوحة أثرية في الكنيسة عن وفاة ..

ولكنني شكرته بحزم ، ودرت على عقبي عائدة إلى الكشك الذي استأجرته ... وما كدت أصل إليه حتى لمحت على البعد المرأة المدعوة "**كارول**" آتية في طريق الممر الصخري كانت مسرعة في سيرها ... وبدا لي مشهدها في ظلال الصخور القائمة أقرب إلى زهرة قرمزية سامة .. وكانت قبعتها بلون الدم ، لكنني انتزعت نفسي من هذه الأوهام بقوة ... ولاشك أن الدم قد سيطرعلى خيالي وحواسي .

ثم سمعت فيما بعد صوت سيارتها ، وتساءلت : ترى هل هي ذاهبة إلى "**بتريشار**" أيضا ؟ لكنها سلكت الطريق الأيسر في الجهة المقابلة .. ووقفت "أراقب" السيارة تزحف صاعدة في طريق التل حتى غابت عن نظري ... فلم أتمالك نفسي أن تنفست الصعداء ، إذ عاد الهدوء إلى القرية من جديد .

وعندما توقفت "**جويس**" عند هذا الحد من القصة قال "**ريموند ويست**" :

– إذا كان هذا كل شيء ، فإنني سأصدر حكمي في القصة فورا ... المسألة كانت بالنسبة إليك يا "**جويس**" مجرد عسر هضم وظهور بقع أمام العينين بعد الوجبات .

فتجاهلت هذا الأسلوب التهكمي واستطردت تقول :

– لم تنته القصة بعد ، ولابد أن تسمعوا البقية .. إنني قرأت في الصحف بعد يومين اثنين مقالا تحت عنوان :

"حادث محزن بسبب السباحة" ... وجاء في المقال أن السيدة "**داكر**" ، زوجة النقيب "**دنيس داكر**" ، غرقت في البحر عند كهف "لانديز" ، على مسافة من الشاطئ ... كانت قد نزلت مع زوجها في الفندق هناك وقتها ، ونزلا إلى البحر للاستحمام ، ولكن رياح باردة هبت ، فخرج النقيب "**داكر**" من البحر بسبب برودة الجو ، وذهب مع بعض النازلين في الفندق للعب في الملعب القريب ، أما زوجته فقد قالت إن الطقس محتمل بالنسبة إليها ، وقصدت وحدها إلى الكهف... ولما لم تعد انزعج زوجها ، وذهب مع رفاقه يبحثون عنها عند الشاطئ... فوجدوا ملابسها قرب إحدى الصخور ، ولكنهم لم يعثروا على أثر للسيدة المذكورة ... ولم تظهر جثتها إلا بعد حوالي أسبوع ، عندما قذفتها الأمواج إلى الشاطئ .. وقد وجد برأسها أثر ضربة حدثت قبل الوفاة ، وكان الرأي السائد هو أن رأسها اصطدم بصخرة تحت الماء وهي تقفز للغطس... وحسب تقديري فإن الوفاة لابد قد حدثت بعد حوالي أربع وعشرين ساعة من وقت رؤية بقع الدم التي ذكرت لكم أمرها .

وهناك قال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق:

– إنني أعترض ... ليست هذه قضية بوليسية إنها قصة من قصص العفاريت والأشباح والظاهر أن الآنسة "**جويس**" أصبحت وسيطة !

ولما لم تجد "**جويس**" بين الموجودين من يناصرها ، التفتت في النهاية إلى الآنسة "**ماربل**" مستنجدة فابتسمت السيدة العجوز الوقور قائلة :

– إنني أنظر إلى الموضوع من زاوية معينة ... هي زاوية الملابس وليس من العدل يا عزيزتي "**جويس**" أن تطرحي قضية تتعلق بالملابس النسائية على الرجال خصوصا أن تغيير الملابس بسرعة وبطريقة متعاقبة كان له تأثير كبير في القضية .. يا لها من امرأة قاسية شريرة! .. ويا له من رجل أشد قسوة وشراً!

فحدقت إليها "**جويس**" وهتفت:

–هل عرفت الحقيقة يا آنسة "**ماربل**"؟

فقالت الآنسة "**ماربل**":

–إنها يا عزيزتي أسهل بالنسبة إليّ، وأنا جالسة هنا مستريحة. أكثر مما كانت لك وأنت فنانة عرضة للتأثر بالجو من حولك. أليس كذلك؟. إن جلوسي هنا وأنا أشتغل بإبرتي يمكنني من رؤية الحقائق.

إن بقع الدماء سقطت على البلاط، من رداء السباحة المعلق في الشرفة، ونظراً لأن رداء السباحة كان أحمر اللون، فإن الجناة أنفسهم لم يدركوا بالتأكيد أن هناك بقعاً من الدماء.. مساكين!

وهنا قال السيد "**هنري**":

–معذرة يا آنسة "**ماربل**".. لكن هل تعرفين أنني لازلت في ظلام؟ يبدو أنك أنت والآنسة "**جويس**" تعرفان المقصود، ولكننا معشر الرجال مازلنا في ظلام مطبق.

فقالت "**جويس**":

–سوف أخبركم بنهاية القصة.. فقد حدث بعد ذلك بسنة أنني كنت في أحد المصايف البحرية الصغيرة الشهيرة برسم اللوحات، عندما استرعى نظري شيء خُيّل إلي أنه تكرر أمامي من قبل.. فقد رأيت شخصين رجلاً وامرأة يقفان على الرصيف أمامي ويسلمان على شخص ثالث، كانت امرأة ترتدي فستاناً به ورد قرمزي صارخ.. وسمعت الرجل يقول لهذه المرأة:

–"**كارول**".. يا للمصادفة السعيدة! أنت لا تعرفين زوجتي؟ يا "**جوان**" هذه صديقة قديمة من أصدقائي، الآنسة "**هاردنج**".

وفي الحال عرفت الرجل.. كان "**دنيس**" نفسه الذي التقيت معه في فندق "**راشهول**".. أما زوجته فكانت مختلفة.. أعني أنها كانت "**جوان**" بدلا من "**مرجريت**"، ولكنها كانت تماثلها في صغر السن، والسذاجة.. وبدا لي وقتها أنني سوف أجن! فقد أخذ الثلاثة يتكلمون عن رغبتهم في السباحة! وأقول

لكم، ماذا فعلت وقتها.. لقد اتجهت إلى مركز البوليس مباشرة، غير عابئة بما قد يبدو لهم من جنوني، ومن حسن الحظ أنني أحسنت صنعاً بذهابي إلى مركز البوليس. فقد وجدت هناك واحدا من رجال "**اسكتلانديارد**"، وكان قد جاء من أجل هذه المسألة بالذات.. والظاهر أن رجال البوليس كانوا قد ارتابوا في أمر "**دنيس داكر**".. وتبين أن هذا الاسم لم يكن اسمه الحقيقي، فإنه كان يتخذ أسماء مختلفة لكل مناسبة.. واتضح أنه كان يتعرف إلى الفتيات اللاتي من النوع الهادئ الساذج الذي ليس لديهن أصدقاء ولا أقارب كثيرون.. وكان يتزوجهن، ويقوم بالتأمين على حياتهن نظير مبالغ كبيرة.. وبعد ذلك.. أواه! يا للفظاعة! إن المرأة المدعوة "**كارول**" كانت زوجته الحقيقية، وكانا يقومان دائماً بتنفيذ العملية نفسها. وهذا هو ما سهل للبوليس ضبطه.. فإن شركات التأمين بدأت تشك في الأمر.. وكان يختار أحد المصايف الصغيرة الهادئة مع زوجته الجديدة، ثم لا تلبث المرأة الأخرى أن تظهر فجأة، ويذهب الثلاثة للاستحمام في البحر معاً.. وعندئذ تقتل الزوجة، فتقوم "**كارول**" بارتداء ملابسها وتعود معه في القارب إلى الفندق.. وبعد ذلك يغادران المكان بعد السؤال عن "**كارول**" المزعومة، وعندما يصبحان خارج القرية تسارع "**كارول**" بارتداء ملابسها، الخاصة المشجرة، وتصبغ شفتيها باللون الأحمر القرمزي، وتعود إلى فندقها، ثم تواصل رحلتها في سيارتها الخاصة... وبعد ذلك يبحثان عن اتجاه تيارات البحر حيث تكتشف الوفاة المزعومة عند نقطة الاستحمام التالية على امتداد الشاطئ.. ذلك أن "**كارول**" كانت تلعب دور الزوجة هناك قرب إحدى الصخور، ثم تبتعد وهي مرتدية ملابسها المشجرة، وتنتظر بهدوء إلى أن ينضم إليها زوجها.

وأظن أنهما عندما قتلا "**مرجريت**" المسكينة فإن بعض الدم قد انبثق فوق لباس استحمام "**كارول**"، ونظرا للونه الأحمر فإنهما لم يفطنا إلى ذلك، كما أشارت الآنسة "**ماربل**" إلى هذا... ولكنهما عندما علقاه في الشرفة لكي يجف، تساقطت منه بقع الدم بالتأكيد. إن الصورة لاتزال ماثلة أمام عيني.

قالت الآنسة "**جويس**" هذه الكلمات وهي ترتعد.. فقال السيد "**هنري**":

-نعم.. تذكرت الآن هذه القصة.. إن اسم الرجل الحقيقي كان "**ديفيس**"، وقد غاب عن ذاكرتي أن لقب "**داكر**" كان أحد أسمائه المستعارة.. إن الاثنين كانا في منتهى المكر، وكان من بواعث الدهشة حقًا أن أحدا لم ينتبه إلى تغيير الشخصية، واظن أن تعرُّف الملابس أسهل من تعرُّف الوجوه، كما أشارت الآنسة "**ماربل**".. لكنها كانت خطة بارعة إلى حد بعيد، فعلى الرغم من أننا شككنا في أمر "**ديفيس**" هذا، إلا أننا لم نستطع إثبات الجريمة ضده لشدة احتياطه في انتحال شخصيات يستطيع إثبات وجودها بعيداً عن مكان الجريمة.

وعند ذلك التفت "**ريموند**" إلى الآنسة "**ماربل**" وقال لها مستغرقا:

-قولي لي يا عمتي، كيف تتوصلين إلى استنتاجاتك الرائعة؟.. إنك عشت حياة هادئة في الريف، ومع ذلك لا أرى أي حادث يثير دهشتك!

فقالت الآنسة "**ماربل**":

-إنني أجد دائما أن الحوادث تتشابه في هذه الدنيا. فهناك مثلا السيدة "**جرين**" التي دفنت خمسة أطفال، وكان كل منهم مؤمنًا على حياته، وبالتأكيد أن الاشتباه يحدث في مثل هذه الحالات.

ثم هزت رأسها وأضافت قائلة:

-هناك قدر كبير من القسوة والشر في حياة الريف ذاتها، ولعلكم تدركون يومًا ما أيها الشباب أن الدنيا مليئة بالقسوة والشر.

- 5 -
الوصية

تنحنح المحامي "**باتريك**" وبدأ حديثه إلى أعضاء الندوة قائلا:

-ربما كانت قصتي هذه متواضعة بالقياس إلى قصصكم الشائقة، ولكنها على الرغم من ذلك محبوكة العقدة، ومن حسن الحظ أنني أعرف حلها الصحيح.

فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تهز إبرة التطريز في وجهه بين ابتسام أعضاء الندوة الليلية التي عرفناها في الفصول السابقة:

-لا نريد ألغازا قانونية تتوه العقول في فهمها.

فطمأنها المحامي، وبدأ حديثه قائلا:

-هي قصة أحد موكلي، وسوف أسميه "**سيمون كلود**"، وكان رجلا واسع الثراء، يقطن في بيت كبير، لا يبعد عن منطقتنا كثيراً، وكان له ابن وحيد قُتل في الحرب، تاركا طفلة صغيرة تُوفيت أمها وقت ولادتها، وجاءت الطفلة للإقامة عند جدها، الذي تعلق بها إلى أبعد الحدود.

ولا يمكنني أن أصف لكم حزن الرجل وتفجعه عندما أصيبت الحفيدة الصغيرة "**كريس**" بالتهاب رئوي أودى بحياتها الغضة.

وكان لـ"**سيمون كلود**" المسكين أخ تُوفي حديثًا في ظروف منكودة، فاستقدم "**سيمون كلود**" أبناء أخيه للإقامة في بيته، وكانوا بنتين هما "**جريس**" و"**ماري**" وولدًا هو "**جورج**". وعلى الرغم من أن الرجل المسن كان عطوفًا وسخيًا حيال أبناء أخيه إلا أنه لم يسبغ عليهم تلك المحبة الخاصة. التي كان يختص بها حفيدته الصغيرة، وعلى أية حال فإنه هيأ عملا لـ"**جورج**" في بنك قريب، وتزوجت "**جريس**" صيدليًا نابغًا يدعى "**فيليب جارود**"، أما "**ماري**" التي كانت معروفة بالهدوء والانطواء فقد أقامت في البيت ترعى عمها، وظلت الأمور تسير حينا على هذا النحو الهادئ.

ويحسن بي أن أضيف إلى هذا أن "**سيمون كلود**" جاءني بعد وفاة حفيدته الصغيرة، وكلفني بإعداد وصية جديدة تقضي بأن تؤول ثروته الكبيرة إلى أبناء أخيه بنسبة الثلث لكل منهم، وتتابعت الأيام على هذا النحو. إلى أن التقيت ذات يوم بـ"**جورج كلود**" واستفسرت منه عن عمه الذي لم أكن قد رأيته منذ مدة، وأشد ما كانت دهشتي عندما قال الشاب مستاء:

-ليتك تستطيع أن ترد الصواب إلى عمي "**سيمون**" - فإن مسألة تحضير الأرواح تزيد حالته من سيئ إلى أسوأ. وأخبرني الشاب بالقصة فقال إن عمه بدأ يهتم

بهذه المسألة، إلى أن التقى مع وسيطة أمريكية تدعى السيدة "بوراديس سبراج"، استطاعت أن تتسلط عليه، وأخذت تتردد على البيت حتى أصبحت إقامتها فيه شبه دائمة. وكانت تعقد جلسات تحضير الأرواح؛ لاستحضار روح الحفيدة "كريس" التي كان الجد مفتونًا بها إلى حد الهوس ومع أنني من المحايدين في موضوع تحضير الأرواح، إلا أن ما سمعته من "جورج كلود" جعلني أعتقد أن السيدة "بوراديس سبراج" هذه محتالة مخادعة إلى أقصى حد، وأن الرجل العجوز على الرغم من دهائه في مسائل الأعمال والمال إلا أنه كان فريسة سهلة لأمثالها؛ بسبب افتتانه بحفيدته الميتة.

وعندما قلبت الأمر على مختلف وجوهه، أيقنت أن تأثير السيدة "سبراج" في العم العجوز قد يؤدي في النهاية إلى الإضرار بأبناء أخيه، وهكذا انتهزت أول فرصة وقمت بزيارة "سيمون كلود" فوجدت السيدة "سبراج" متربعة في البيت، معززة مكرمة وما كاد نظري يقع عليها؛ حتى تحققت من كل مخاوفي. كانت امرأة قوية البنية في متوسط العمر، ترتدي ملابس زاهية ووجدتها تحشو كلامها بالحديث عن: "أعزائنا الذين فارقونا" إلى غير ذلك من العبارات المنتقاة.

كان لها زوج يقيم معها في المنزل، يدعى "السالوم سبراج" وهو رجل نحيل، كالح الوجه، زئبقي النظرات، وقد انتهزت أول فرصة سانحة فانفردت بـ "سيمون كلود" وفاتحته في الموضوع بحذر، فوجدته ممتلئًا حماسة قال إن "بوراديس سبراج" أعجوبة، أرسلتها إليه السماء استجابة لدعواته.. وهي لا تبحث عن المال بل إن كل سعادتها ومتعتها أن تخفف الحزن عن قلب مكلوم! وقد بدأ ينظر إليها كابنة له، ثم انتقل من ذلك إلى التفاصيل فراح يشرح كيف سمع صوت حفيدته "كريس" وهي تتكلم وكيف أنها سعيدة بوجودها مع أبويها، بل كيف أن الأب والأم أصبحا يحبان السيدة "سبراج" العزيزة!

ولما سألته هل كان مطمئنًا إلى السيدة "سبراج" هذه؟ راح يدافع عنها بحرارة وقوة.

وفي النهاية انصرفت من عنده، وأنا غير مرتاح بتاتًا ولا أعرف كيف أتصرف.

وبعد طول تفكير وتدبر كتبت إلى "فيليب جارود" زوج بنت أخيه كما تقدم، وشرحت له القصة، مبينًا خطر سيطرة مثل هذه الدجالة على تفكير العجوز ومشاعره، واقترحت عليه أن يتصل بعم زوجته، وأن يستعين إذا أمكن بإخصائي، من الموثوق بهم في المسائل الروحانية.

وكان "جارود" سريعًا في الاستجابة، فقد رأى ما لم أره، وهو أن الرجل العجوز في حالة صحية دقيقة، وأدرك أنه لا يمكن أن يترك الأمور على ما هي عليه، وإلا حرمت زوجته وأختها وأخوها من الميراث، الذي هو حقهم الشرعي وفي خلال أسبوع زار عم زوجته بصحبة البروفسير "لونجمان" العالم والمتخصص في الروحانيات، وكان حجة في هذا المجال وشخصية محترمة.

ولكن النتيجة كانت مؤسفة؛ لأن العالم الروحاني لم يستطع بعد جلستين أن يجزم بشيء قاطع، وإن أشار على "جارود" في رسالة له باستقدام وسيطة أخرى من الموثوق بهن.

والواقع أن "سيمون كلود" لم يكد يطلع على هذه الرسالة حتى استشاط غضبًا وقال إن هذه مؤامرة للإساءة إلى السيدة "سبراج" التي يعدها قديسة.. إذ إنها جاءت إليه في أحلك ساعات حياته، ومنحته السلوى والراحة، وإنه مستعد لمخاصمة أهل البيت جميعا تمسكا بهذه التي يعدها أغلى من أي إنسان في الدنيا كلها!

وبتأثير هذه القضية تأثرت صحة العجوز، وتدهورت حالته حتى لم يعد يفارق الفراش، وقد حدث بعد يومين من رحيل "جارود" أن تلقيت دعوة عاجلة من "سيمون كلود" لمقابلته، فأسرعت إليه حيث وجدته قد اشتد به المرض فعلا وقد قال لي وهو يلهث..

-أشعر بأن نهايتي قريبة يا "باتريك"، ولكنني أريد قبل أن أموت أن أقوم بواجبي نحو المخلوق الوحيد الذي منحني من الفضل ما لم يمنحه لي أي إنسان آخر في الدنيا.. أريد إعداد وصية جديدة.

فقلت له :

-بالتأكيد . . إذا أعطيتني تعليماتك الآن قمت بإعداد الوصية التي تريدها وأرسلتها إليك.

فقال العجوز :

-هذا لا يجدي، وكيف تقول هذا يا رجل، وقد لا أعيش سواد هذه الليلة، إنني كتبت هنا كل ما أريد، ويمكنك أن تقول لي هل كان سليماً؟

وأخرج من تحت الوسادة قصاصة ورق مكتوبة بالقلم الرصاص، أوصى فيها بمنح مبلغ خمسة آلاف جنيه لكل من ابنتي وابن أخيه، وتخصيص بقية الثروة الطائلة لـ"بورادیس سبراج"، امتناناً وتقديراً !

لم أسترح لهذا لكن كان هو الواقع، ولم يكن ثمة مجال لاتهامه بخلل في قواه العقلية، فقد كان سليم العقل، كأي إنسان من هذه الناحية.

ولم يلبث "سيمون كلود" أن ضغط الجرس، واستدعى اثنين من الخدم هما "إيما جونت" وصيفته الخاصة التي كانت في خدمته مدة طويلة وتفانت في تمريضه، والطاهية "لوسي". وقد بادرهما "سيمون" قائلا وهو يحدق إليهما بنظراته الحادة:

-أريد أن تشهدا على وصيتي . . هاتي قلمي الحبر يا "إيما".

فاطاعت "إيما" وتقدمت إلى المكتب ولكنه استوقفها قائلا:

-ليس الدرج الأيسر يا بنية . . ألا تعرفين أن القلم في الدرج الأيمن؟

فقالت "إيما" وهي تبرز القلم:

-لا . . إن القلم هنا يا سيدي.

فقال العجوز متأففا:

-إذن لابد أن تكوني قد وضعته خطأ في المرة الأخيرة . . إنني لا أطيق وضع الأشياء في غير مكانها الصحيح!

وأخذ القلم ونسخ الوصية في ورقة أخرى بمساعدتي، وتنقيحي، ثم وقعها بإمضائه، وقد وقعت أيضاً كل من "إيما جونت"، والطاهية "لوسي"، وبعد ذلك

طويت الوصية ووضعتها في ظرف مستطيل أزرق وقبل أن نبارح الغرفة قال لي باسماً على الرغم من شدة إعيائه:

-سأموت الآن مرتاح البال بعد أن فعلت ما كنت أبغي.

ونظرت إلي "إيما جونت" مستطلعة، كأنما تستفهم هل كان يمكنها أن تترك الغرفة، فأومأت إليها، وخرجت ولكن بعد أن انحنت والتقطت الظرف الأزرق الذي سقط مني في أثناء انشغالي وردته إلي، فوضعته في جيبي وخرجت هي على الأثر.

ونظر "سيمون كلود" إلي بعد انصراف الوصيفة قائلا:

-أراك مستاء يا "باتريك" . . أنت متحيز متحامل مثل غيرك.

فقلت له:

-المسألة ليست مسألة تحامل أو تحيز، إنني لا أعارض في أن تهب السيدة "سبراج" منحة مناسبة اعترافاً منك بجميلها، لكنني أقول لك صراحة يا "كلود" إن حرمان من هم من دمك ولحمك من الميراث إيثارا لإنسانة غريبة عنك، عمل خاطئ.

وخرجت من الغرفة بعد أن سجلت احتجاجي على هذا التصرف، وخرجت "ماري كلود" من غرفة الجلوس وقابلتني في الصالة قائلة:

-هلاً شربت الشاي قبل انصرافك؟ تعال معي.

وقادتني إلى غرفة الجلوس، حيث كانت المدفأة موقدة ترسل دفئا مغريا فساعدتني على خلع معطفي، حين دخل أخوها "جورج" إلى الغرفة، فأخذ المعطف ووضعه فوق مقعد في أقصى الغرفة، ثم انضم إلينا قرب المدفأة حيث جلسنا نشرب الشاي، وفي أثناء الحديث أثار "جورج" نقطة متعلقة بالأملاك كان عمه قد كلفه ببحثها ولكنه لم يكن مرتاحا للقيام بهذه المهمة، واستطلع رأيي بصددها، فانتقلنا بعد الشاي إلى غرفة المكتب للاطلاع على الأوراق الخاصة بالموضوع، وصحبتنا "ماري" لهذا الغرض.

وبعد ربع الساعة تأهبت للانصراف، ولما تذكرت أنني نسيت معطفي في

غرفة الجلوس مضيت إليها لآخذه فوجدت في الغرفة السيدة "**سيراج**" وحدها، وكانت منحنية على الأرض قرب المقعد الذي تركت معطفي فوقه، وبدت كأنما تفعل شيئًا في كسوة المقعد.. وما إن دخلت عليها حتى نهضت وقد احمر وجهها وقالت بلهجة من يشكو شيئًا:

-إن هذه الكسوة غير سليمة وفي إمكاني أن أصنع واحدة أفضل منها.

ومهما يكن من أمر فقد تناولت المعطف وارتديته، وفي أثناء ذلك لاحظت أن الظرف الأزرق المحتوي على الوصية كان قد سقط من جيبي، ورأيته ملقى على الأرض فأعدته إلى جيب المعطف، وألقيت التحية، وانصرفت.

وسأصف لكم بدقة ما فعلته في المكتب عند وصولي إليه، فقد خلعت المعطف وأخذت الوصية من جيبه وكنت لا أزال ممسكًا بالظرف عندما دخل الكاتب وقال لي: إن أحد الزبائن يطلبني في التليفون، ولما كانت وصلة التليفون في مكتبي معطلة. فقد تركت الظرف على المكتب وتبعت الكاتب إلى المكتب الخارجي حيث بقيت حوالي خمس دقائق منهمكا في الحديث التليفوني. وعندما خرجت وجدت الكاتب ينتظرني قائلا:

-إن السيد "**سيراج**" جاء لمقابلتك يا سيدي.. فأدخلته مكتبك.

فعدت إلى غرفة مكتبي حيث وجدت السيد "**سيراج**" جالسًا قرب المكتب، وبعد التحية والمقدمات المعتادة أخذ يتحدث عن زوجته وعن نفسه بإفاضة، مؤكدًا استقامتهما وبعدهما عن كل مأرب فاستمعت إليه بفتور، وانصرف في النهاية شاعرًا بأنه فشل في مهمته، ولما تذكرت أنني تركت الظرف على المكتب أخذته وختمته بالشمع، ووضعته في خزانتي.

وتمهل المحامي "**باتريك**" برهة، ثم استطرد يقول:

-والآن أصل إلى عقدة القصة فلم ينقض شهران على ذلك حتى توفي "**سيمون كلود**" ولن أفيض في الكلام عما حدث بعد ذلك، ولكنني أجتزئ فأقول: إننا عندما فتحنا الظرف الأزرق المحتوي على الوصية، وجدناه يحتوي على ورقة بيضاء!

وتوقف المحامي وأخذ يتفرس في وجوه الضيوف حوله بنظرات لا تخلو من

الاستمتاع، ثم استطرد قائلاً:

-إنكم تقدرون هذه النقطة بالتأكيد؟ لقد تركت الظرف المختوم بالشمع في خزانتي شهرين ولم يكن من الممكن أن يعبث به أحد في أثناء ذلك، والآن مَنْ يمكن أن تكون الفرصة قد سنحت له ليفعل ذلك؟ ومن الذي كانت له مصلحة في أن يفعل هذا؟ هذه هي المعضلة التي أطرحها عليكم، ويسرني أن أستمع إلى آرائكم.

وشد ما كانت دهشتهم جميعا عندما سمعوا الآنسة "**ماربل**" تضحك ضحكة طويلة عالية، وكأن هناك ما يثير التفكه عندها إلى أبعد حد.

فقال ابن أخيها "**ريموند**":

-ماذا جرى يا عمتي؟ ألا يمكن أن نشاركك هذه الفكاهة؟

فقالت الآنسة "**ماربل**":

-هذا شرك من جانب المحامي يريد أن يوقعنا فيه.. أليس كذلك يا سيدي المحامي العزيز؟

فقال المحامي وقد لمعت عيناه:

-ترى هل توصلت إلى شخصية الفاعل؟

فكتبت الآنسة "**ماربل**" بضع كلمات في قصاصة ورق وطوتها وناولتها إلى المحامي.

فبسط "**باتريك**" الورقة وقرأ ما كتب فيها، ثم تطلع إلى الآنسة "**ماربل**" بنظرات تجلى فيها الإعجاب، وقال لها:

-عجبا لك يا صديقتي العزيزة.. هل هناك شيء يمكن أن يخفى عليك؟

فأجابت الآنسة "**ماربل**":

-إنني عرفت العقدة منذ كنت طفلة صغيرة، وقد كنت أتسلى بهذه اللعبة شخصيا!

وهنا قال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق:

-يظهر أن مثل هذه القصة بعيدة عن اختصاصي. والظاهر أن السيد "**باتريك**"

يخبئ لنا عقدة قانونية طريفة !

فقال المحامي :

–عفوا.. عفوا.. إنها فكرة قديمة لا أحابيل فيها.. لا تلقوا بالكم إلى ما تقوله الآنسة "**ماربل**".. فإنها تنظر إلى الأمور بطريقتنا الخاصة.

فقال "**ريموند**" بشيء من الامتعاض:

–في قدرتنا أن نصل إلى الحقيقة.. إن عناصر الموضوع ظاهرة البساطة.. إن خمسة أشخاص تداولوا هذا الظرف.. فالواضح من بيانات المحامي أن "**سبراج**" وزوجته كان بإمكانهما العبث بالظرف، ولكن الواضح كذلك أنهما لم يفعلا هذا؛ لأنه لا صالح لهما في العبث بالوصية التي غيرت لصالحهما، ويبقى بعد ذلك ثلاثة أشخاص هم "**ماري**"، وأخوها "**جورج**"، والوصيفة "**إيما جونت**".. وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية خفة اليد، وما يفعله الحواة أمام نظر الإنسان، فمن السهل على "**جورج**" أن ينتزع الورقة من الظرف، ويستبدل بها أخرى في الفترة التي حمل فيها المعطف إلى أقصى ركن في الغرفة.

وقالت "**جويس**":

–أما أنا فأظن أن "**ماري**" هي التي فعلت هذا، وفي تقديري أن الوصيفة أسرعت إليها وأخبرتها بما يدور، وأخذت منها ظرفا آخر، ووضعته مكان الظرف الأصلي.

أما السيد "**هنري**" فقد هز رأسه قائلا:

–إنني أختلف معكما في الرأي فإن الحواة يفعلون ما أشار إليه "**ريموند**" على المسرح وفي الروايات فقط، أما الحياة الواقعية فإن شيئا مثل هذا مستحيل، خصوصا تحت نظر شخصية حريصة مثل صديقنا الأستاذ "**باتريك**" المحامي الفطن.. وأنا عندي فكرة، وهي ليست سوى فكرة لا أكثر، فنحن نعرف أن المحامي استدعى البروفسير "**لونجمان**" ولم يفصح عن وجهة نظره بصراحة، ومن المعقول أن تؤدي هذه الزيارة إلى إثارة قلق السيدة "**سبراج**" وزوجها ومخاوفهما خصوصا إذا كان "**سيمون كلود**" لم يكاشفهما بأمرها، مما جعلهما ينظران إلى الموضوع من زاوية

أخرى.. فربما كانا يظنان أن "**سيمون كلود**" أعد من قبل وصية تستفيد منها "**بورادیس سبراج**" وأن هذه الوصية الجديدة قد تؤدي إلى حرمانها من كل شيء نتيجة لما قاله البروفسير "**لونجمان**" للعجوز، أو نتيجة لتأثير "**فيليب جارود**" فيه، باعتبار أن أبناء أخيه أقرب الناس إليه رحما.. وفي هذه الحالة تحاول السيدة "**سبراج**" تغيير الوصية، وفي أثناء هذه المحاولة فاجأها المحامي بعودته إلى الغرفة، فلم يتح لها وقتا لقراءة الوصية الحقيقية، وأسرعت بحرقها قبل أن يكتشف المحامي ضياعها.

ولكن "**جويس**" هزت رأسها بهدوء قائلة:

–إنها ما كانت لتحرقها قط، قبل قراءتها.

فقال السيد "**هنري**":

–إني معك في أن نظريتي ضعيفة بالفعل.. فما رأيك أنت يا دكتور "**بندار**"؟

فراح "القس" العجوز يقول:

–ليست عندي أفكار واضحة في هذا الشأن، وإن كنت أظن أن تغيير الوصية قد تم بمعرفة السيدة "**سبراج**"، أو زوجها، للسبب الذي أشار إليه السيد "**هنري**".. وإذا كانت لم تقرأ الوصية إلا بعد انصراف السيد "**باتريك**"، فقد وجدت نفسها في ورطة. إذ ما كانت لتستطيع أن تعترف بفعلتها، وربما عمدت عندئذ إلى وضع الوصية بين أوراق السيد "**سيمون كلود**"؛ لكي يعثر عليها بين أوراقه بعد وفاته.

أما كيف لم يوجد للوصية أثر فهذا ما لا أعرف له جوابا ولا يستبعد أن الوصيفة "**إيما جونت**" قد عثرت على الوصية مصادفة. وعمدت إلى حرقها شفقة على أبناء شقيق العجوز.

فقالت "**جويس**":

–أظن أن نظرية الدكتور "**بندار**" هي أقرب الحلول لهذه القضية.

ولكن المحامي هز رأسه قائلا:

–سأتابع القصة عند النقطة التي توقفت لديها..

لقد وجدت نفسي في حالة ذهول وحيرة مثلكم، وأظن أني ما كنت لأستطيع الوصول إلى الحقيقة لولا مناسبة كان لها الفضل في استنارتي. فقد ذهبت بعد نحو شهر من ذلك لتناول العشاء عند "**فيليب جارود**" زوج بنت الأخ. وفي سياق الحديث الذي دار في أثناء الطعام ذكر لي قصة طريفة وصلت إلى علمه منذ فترة قصيرة إذ قال لي: أحب يا "**باتريك**" أن أختصك بهذه القصة. لتبقى بيننا بالتأكيد.

ولما طمأنته قال لي:

–إنه صديق كان يتوقع ميراثا طيبا من أحد أقاربه، ثم أحزنه أن يعلم أن هذا القريب ينوي تغيير الوصية لصالح شخص لا يستحقها بحال.. وأنا أعرف عن صديقي هذا أنه لا يدقق كثيرا فيما يدقق فيه الناس.. وكانت في المنزل وصيفة متفانية في رعاية مصالح الطرف الشرعي إذا جاز هذا التعبير فما كان من صديقي إلا أن زودها بتعليمات مبسّطة جداً وأعطاها قلما مملوءا. وكان عليها أن تضع هذا القلم في درج مكتب سيدها، ولكن في غير الدرج المعتاد حفظ القلم فيه.. فإذا طلب سيدها منها أن تشهد على توقيعه أية وثيقة، وكلفها بإحضار قلمه، فعليها ألا تحضر له القلم الحقيقي، ولكن القلم الآخر المعد خصيصا، والذي كان مطابقا له، هذا ما كان عليها أن تفعله، ولم يزودها ما عدا ذلك بأية بيانات أخرى، ولما كانت إنسانة متفانية،فإنها نفذت تعليماته بإخلاص. وبعد أن توقف "**فيليب جارود**" برهة قال لي باسما:

–هل رأيت الفكرة؟ إن القلم المعد كان مملوءا بالحبر الطيار، وهو محلول من النشا المذاب في الماء ومضاف إليه نقط اليود.. وهذا المزيج يكون سائلا أزرق أسود غامقا، ولكن الكتابة به تتلاشى تماما بعد أربعة أو خمسة أيام.

وما إن فرغ المحامي "**باتريك**" من كلامه حتى ضحكت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

–الحبر الطيار؟ إني أعرفه تماما، وكثيرا ما لعبت به وأنا طفلة.

وعلى الرغم من ذلك فإن القصة شرك من جانب المحامي لإيقاعنا في المصيدة كما قلت وأظن أنني لم أقع في المصيدة!

- 6 -
مصرع الزوج

كان الإلحاح شديدا من جانب الضيوف؛ لكي تقص عليهم الآنسة "**ماربل**" غوامض تلك القصة المفزعة التي حدثت لابنة أختها الآنسة "**ميبل**" في القرية التي كانت مسقط رأسها، ولهذا هزت رأسها امتثالا قائلة:

–إن هذه القصة حدثت منذ خمسة عشر عاما، ولهذا فقد انتهت ملابساتها الآن. لحسن الحظ، ونسيها الناس، وأصبحت الآن في حل من الكلام عنها.

كانت "**ميبل**" ابنة أختي فتاة طيبة لطيفة، ولم يكن يعيبها سوى نزعاتها الدرامية، وقد تزوجت وهي في الثانية والعشرين رجلا يدعى "**جيوفري دنهام**" كان على النقيض منها في حدة طبعه، وقيل إن الجنون كان وراثيا في أسرته حتى خفت ألا ينتهي هذا الزواج بخير.. لكن "**ميبل**" ركبت رأسها، وصممت على الزواج به، ولم يستطع أحد أن يفعل شيئا للحيلولة دون إتمامه؛ نظرا لما تعلمونه من عناد الشباب ونزواتهم.

وانقضت عشر سنوات لم أسمع فيها إلا قليلا عن "**ميبل**".. وبعد هذه المدة علمت أن السيد "**جيوفري دنهام**" توفي فجأة تاركا لها كل ثروته، إذ لم ينجبا أبناء من هذا الزواج، ولم تمض إلا ثلاثة أشهر حتى تلقيت من "**ميبل**" رسالة هيستيرية تتوسل إليّ فيها أن أذهب إليها؛ لأن أمورها ساءت إلى حد لم تعد تستطيع معه الاحتمال.

لم يكن بوسعي أن أرفض هذا النداء المؤثر، وهكذا سافرت إلى القرية، ووجدت "**ميبل**" في حالة اضطراب عصبي شديد.. وكانت مقيمة في قصر ريفي فخم، وعندها وصيفة، وطاهية، وممرضة لخدمة والد زوجها العجوز المريض مختل العقل. صحيح أنه كان هادئا ومهذبا في سلوكه، لكنه كان – كما قلت– سليل أسرة بها لوثة جنون وراثي.

وقد بذلت جهدا جهيدا لمعرفة أسباب اضطرابها حتى علمت منها أن جيرانها

أصبحوا يقاطعونها، وينفرون من مقابلتها ورؤيتها، إلى حد باتت تفكر معه في بيع القصر والانتقال إلى مكان آخر. واختتمت "**ميبل**" حديثها قائلة:

–لكن لماذا أطرد من القصر والقرية على هذه الصورة؟ إنني لم أفعل شيئا أستحق بسببه هذه القطيعة الشنيعة!

فقلت لها:

–إنك تثيرين دهشتي يا عزيزتي "**ميبل**".. لكن ما سبب كل هذا؟

–السبب هو تلك الشائعات الظالمة التي يشيعونها عني! فهم يظنون أنني دسست السم لزوجي!.

كنت موقنة تماما بأن "**ميبل**" أعجز الناس عن دس السم لأي إنسان، ولكنني قلت لها:

–لا دخان بلا نار كما يقولون يا عزيزتي "**ميبل**".. ولذلك أرجو أن تشرحي لي ما الذي حدا بهم إلى مثل هذه الظنون القاسية.

أجابت "**ميبل**" بكلام متقطع أنه لا سبب لهذا سوى موت زوجها "**جيوفري دنهام**" ميتة مفاجئة.

كان في حالة طبيعية وقت العشاء في تلك الليلة، ولكنه أصيب بنوبة مرضية حادة في أثناء الليل، وقد دُعي الطبيب لإسعافه، ولكن المسكين لفظ أنفاسه بعد دقائق من وصول الطبيب، وقد ساد الظن بأن وفاته كانت نتيجة أكل عيش غراب مسموم.

قلت لها:

–أظن أن ميتة فجائية مثل هذه يمكن أن تطلق الألسنة، لكن من المؤكد أن هناك أسبابا أخرى لعلها ساعدت على إطلاق الشائعات.. هل حدثت مشادة بينك وبين زوجك وقتها؟

–أعترف بأننا تشاجرنا في صباح ذلك اليوم المشؤوم على مائدة الفطور.

–سمع الخدم ذلك الشجار على ما أظن؟

–لم يكونوا وقتها في الغرفة.. لكن لا يبعد أنهم كانوا قريبين منها.

–وماذا كان سبب الشجار؟

–لم يزد على كونه شجارا عاديًا مما يقع مثله دائما.. لكن كلا منا لم يطق الآخر وقتها، حتى تبادلنا السباب والشتائم.

–وهل هذا كل شيء أم ثمة أشياء أخرى؟

قالت "**ميبل**" ممتعضة:

–ماذا تقصدين بهذا السؤال يا خالتي؟

–أقصد ما قلت.. إذا كنت فعلت حماقة من أي نوع، فلا تخفي شيئا عني؛ لأنني أريد مساعدتك بكل طاقتي.

فأجابت "**ميبل**" بيأس بالغ:

–لا شيء، ولا أحد يمكن أن يساعدني سوى الموت!

فقلت لها مواسية:

–ضعي ثقتك بالعناية الإلهية يا عزيزتي "**ميبل**".. إنني أعرف تماما أن هناك شيئا آخر تحاولين إخفاءه عني. ومازلت بها حتى اعترفت لي في النهاية وقالت إنها قصدت في صباح ذلك اليوم إلى الصيدلية، واشترت مقدارا من "الزرنيخ".. وبالتأكيد فإنها وقعت في سجل الصيدلية بشراء المادة السامة، وكان من الطبيعي أن يتكلم الصيدلي.

–ومن هو طبيب الأسرة؟

–الدكتور "**رولنسون**".

لم أكن أعرف هذا الطبيب إلا سماعا، ولما قصدت إليه بعد قليل وجدته رجلا مسنا، ضعيف البصر والسمع..

وقد فهمت منه أن المتوفى قد فقد النطق عند وصوله إليه وكان عاجزا عن ابتلاع أي دواء. ولفظ أنفاسه بعد دقائق.. وبدا لي أن الطبيب كان مطمئنا تمام الاطمئنان إلى شهادة الوفاة التي حررها، لكنني لم أستطع أن أعرف منه هل كان مؤمنا بها، أو أن اطمئنانه كان وليد العناد والتمسك بالرأي؟

وعلى أثر عودتي من زيارة الطبيب واجهت "**ميبل**" بصراحة، وسألتها عن سبب

شرائها للزرنيخ.

فانخرطت في البكاء على الفور قائلة:

-كنت أريد أن أضع حدا لحياتي.. كنت في أشد حالات التعس، وبدا لي أن الأفضل هو أن أموت وأستريح.

-ألا يزال عندك "**الزرنيخ**"؟

-نعم، ليس عندي فإنني تخلصت منه.

جعلت أفكر برهة.. ثم قلت لها:

-وماذا حدث عندما أصيب زوجك بتلك النوبة؟ هل أرسل يستدعيك إلى جانبه؟

فهزت رأسها قائلة:

-لا.. إنه ضغط الجرس بعنف.. والظاهر أنه فعل هذا أكثر من مرة، وأخيرا سمعته "**دوروثي**" الوصيفة، فأيقظت الطاهية، وذهبتا إليه، وعندما رأته "**دوروثي**" فزعت منه فقد كان محموما، وكان يهذي بشدة.. فتركت الطاهية وأسرعت تبلغني، فقمت من فراشي وذهبت إليه وقد رأيت في الحال خطورة حالته. ومن سوء الحظ أن الممرضة الخاصة الآنسة "**بروستر**" التي ترعى الأب العجوز كانت في راحتها الأسبوعية تلك الليلة، وهكذا لم يكن هناك من يعرف كيف يتصرف في مثل هذا الموقف.. لكنني أرسلت الوصيفة لاستدعاء الطبيب، وبقيت أنا والطاهية إلى جانبه. لكن حالته كانت من البشاعة حتى أنني لم أحتمل البقاء فأسرعت عائدة إلى غرفتي الخاصة وأغلقت الباب على نفسي.

-كانت هذه أنانية شنيعة من جانبك يا "**ميبل**".. لا شك في أن الطاهية نقلت هذه الحكاية للناس، وكان هذا من العوامل التي ساعدت على أن يسوء موقفك أكثر وأكثر.

ومهما يكن فإنني تركت "**ميبل**" وانتقلت إلى استجواب الخدم عن حالة مخدومهم تلك الليلة فاتفقت الوصيفة والطاهية على أنه كان يعاني آلاما مبرحة،

وأنه كان عاجزا عن الابتلاع، ولم يكن يستطيع الكلام إلا بصوت مختنق، وكانت كلماته أقرب إلى الحشرجة ولا يفهم منها شيء.

-وماذا كان يقول في هذه الحشرجة؟

-قال كلاما مبهما عن السمك، كوم من السمك، كلاما أقرب إلى الهذيان بالتأكيد.. وبدا لنا وقتها أنه فقد صوابه.

كان هذا هو كل ما استطعت استخلاصه من الطاهية والوصيفة.. وأخيرا اجتمعت مع الممرضة الخاصة الآنسة "**بروستر**" وسألتها عن معلوماتها، فقالت:

-من سوء الحظ أنني لم أكن موجودة في تلك الليلة، يبدو أن الجميع عجزوا عن عمل أي شيء لإسعافه قبل حضور الطبيب.

فقلت أجس نبضها:

-أظن أنه كان محموما.. لكن ليس هذا عرضا من أعراض التسمم الغذائي. أليس كذلك؟

ولما سألتها عن حالة مريضها العجوز والد المتوفى هزت رأسها قائلة:

-إنه في صحة جيدة من الناحية البدنية ولكن حالته العقلية تتدهور بسرعة، وسبق لي أن أشرت على السيد "**بندار**" بنقله إلى مصحة عقلية، ولكن السيدة "**دنهام**" رفضت هذا رفضا باتا.

لم أستغرب لموقف "**ميبل**" من هذه الناحية، فقد كنت أعرف طيبة قلبها، ورقة مشاعرها البالغة. لم يكن أمامي بعد ذلك سوى الالتجاء إلى الحل الوحيد لوضع حد للشائعات التي تحاصر "**ميبل**" المسكينة. فطلبنا التصريح باستخراج جثة زوجها وتشريحها رسميا وقد تم هذا بالفعل لكن النتيجة لم تكن مرضية بالقدر الذي كنت أرجوه.

كانت خلاصة التقرير الطبي بهذا النص:

"ليس هناك شيء يبين بأية كيفية كان موت المتوفى". وهكذا شعرت بأنني عاجزة، أو أكاد أعجز عن الوصول إلى الحقيقة وكشف القناع عن مصرع الزوج. إلى أن هدتني التجربة إلى حيلة كنت ألجأ إليها دائما كلما ضاقت بي السبل.

وقد تضحكون أنتم يا شباب هذا الجيل عندما أقول لكم مثل هذا الكلام. إذ إنني كنت ألجأ إلى ترتيل صلاة قصيرة في مثل هذه الظروف، وأجدني دائما أوفّق بعدها إلى الرأي السديد.

ويومها تممت بصلاتي وأنا سائرة في الشارع الرئيسي في القرية مستغرقة في التفكير، وقد أغمضت عيني، وما إن فتحتهما حتى ألفيت نفسي أمام دكان بائع السمك، وليس في واجهته سوى سمكة واحدة من نوع "**الحدوق**".

والآن يا أصدقائي ماذا تظنون قد طرأ على ذهني عند رؤيتي السمكة؟

لقد تذكرت في الحال ما ذكرته الطاهية والوصيفة عن الكلمات التي تفوه بها المتوفى عن السمك، واقتنعت اقتناعا جازما بأن ثمة نوعا من الحل لهذا اللغز الغامض المحير قد ورد في كلمات المتوفى.. ولذلك عدت إلى القصر وقد عقدت العزم على التوصل إلى الحل المنشود.

واجتمعت مع كل من الطاهية والوصيفة على انفراد.. فسألت الطاهية هل كانت متأكدة أن مخدومها قال فعلا كلاما عن "كوم من السمك".. فأجابت بأنها متأكدة كل التأكيد.

فسألتها:

-هل كانت هذه كلماته بالنص، أم أنه ذكر نوعا معينا من السمك؟

الحقيقة أنه ذكر نوعا معينا من السمك، لكنني لا أتذكره الآن.. كوم مَن؟ ليتني أتذكر.. لم يكن نوعا من السمك المعتاد وجوده على المائدة.

-أنا معك في هذا، فإن زميلتك الوصيفة قالت أيضا إن سيدها ذكر نوعا من السمك المتوحش.

-آه! تذكرت الآن.. كان اسم السمك غريبا فعلا.. كان صعب النطق وكل ما أتذكره أنه كان يبدأ بحرف "**الباء**".

تركت الخادمتين وقمت بمحاولة أخيرة لاستكمال نظريتي.. ومن حسن الحظ أن منزلنا الريفي في القرية كان فيه مجلد كبير عن الطب، وعن العقاقير المختلفة في المكتبة التي تركتها والدتي، وكانت نظريتي التي يحق لي أن أزهو بها هي أن

"**جيوفري دنهام**" لم يكن يتكلم عن كوم من السمك.. بل كان يتكلم عن ترياق للتسمم ويحاول النطق باسمه.

وبعد البحث طويلا في المجلد الطبي توقفت عند كلمة "**بيلوكاربين**".. إنها كلمة صعبة النطق، ولا شك في أن رنينها يبدو غريبا في سمع طاهية محدودة المعرفة، ولكنها تقع في الأذن وقع عبارة "**بابل أف الكارب**".. أي كومة من سمك كارب وهي العبارة التي قالت الطاهية إن سيدها كان يرددها. وقرأت في المجلد كل ما جاء عن مادة "**بيلوكاربين**" وتأثيرها في العينين، وغير ذلك من المعلومات التي لا تتصل بالقضية، إلى أن وصلت أخيرا إلى العبارة الحاسمة التي تقول:

"وقد جرب الأطباء بنجاح عقار "**بيلوكاربين**" كترياق ضد التسمم بـ"الإتروبين" والواقع أنني لم أقرأ هذه العبارة حتى سطعت الحقيقة في ذهني كالشهاب البارق.. إنني لم أفكر قط أن مثل "**جيوفري دنهام**" يمكن أن يفكر في الانتحار..

إن كل الظروف كانت تشير إلى عكس هذا تماما؛ ولذلك قررت أن أقوم بآخر محاولة للتأكد من صحة نظريتي.

إنني لا أعرف شيئا في الطب والعقاقير بالتأكيد، ولكن الذي أعرفه أنني عندما شعرت مرة بضعف في الإبصار وصف لي الطبيب قطرة فيها "**سلفات الإتروبين**"، ولهذا صعدت من فوري إلى غرفة السيد "**دنهام**" العجوز، وقلت له بغير مقدمات:

-السيد "**دنهام**".. إنني عرفت كل شيء.. لماذا سممت ابنك"؟

راح العجوز يحدق إليّ طويلا، وما لبث أن انفجر ضاحكا. كانت ضحكة جنونية شريرة من أسوأ ما سمعت في حياتي، حتى شعرت بقشعريرة تسري في جسدي.

وأخيرا راح يقول:

-نعم، إنني صفيت حسابي مع "**جيوفري**".. إنه كان ينوي إبعادي من

هنا، وإرسالي إلى المصحة لقد سمعتهما يتكلمان في هذه المسالة، ولكن "ميبل" فتاة طيبة، وقد وقفت في صفي.. لكنني كنت أعرف أنها لن تستطيع مقاومة "جيوفري"، وأنه سوف ينفذ غرضه في النهاية.. فأنهيت حياة ولدي الطيب الحنون.. هاها.. إنني تسللت إلى غرفته في الليل، وكانت المسالة غاية في السهولة.. فقد كانت الممرضة "بروستر" غائبة، وكان ولدي الحبيب نائما، وكان من عادته أن يضع كوب ماء بجانب فراشه، إذ كان يستيقظ في منتصف الليل، ويشرب الكوب ولكنني افرغت الكوب.. هاها ،ثم افرغت زجاجة القطرة في الكوب محل الماء.. كنت واثقا بانه سوف يستيقظ ويشرب الكوب قبل أن يعرف ما فيه، وهذا ما فعله بالضبط ثم حضروا عندي في الصباح وأخبروني بما حدث مترفقين. كانوا خائفين أن يفجعني النبأ.. هاها.. هاها.

قالت الآنسة "ماربل" لضيوفها:

–لا بأس.. هذه هي نهاية القصة، وبالتأكيد فإن الاب العجوز المذكور أدخل مستشفى الأمراض العقلية.. والواقع أنه بهذه الصفة لا يعتبر مسؤولا عما فعله.

ولما ظهرت الحقيقة شعر الناس بالعطف على "ميبل" المسكينة والرثاء لها، وأخذوا يفعلون كل ما في وسعهم؛ لتعويضها عن الشكوك والظنون الظالمة التي صدرت عنهم في حقها..

ولكن لولا أن "جيوفري" عرف المادة التي ابتلعها، وأخذ يحاول أن يذكر لكل من رآه أن يحضر الترياق، وهو مادة "بيلوكاربين" بدون إبطاء– لما عرفت الحقيقة، ولما استطعت أن أكشف النقاب عن سر موته المفاجئ.

واعتقد أن هناك أعراضا محددة لـ"الإتروبين"، وهي اتساع حدقتي العينين إلى غير ذلك، والدكتور "رولنسون" الذي حرر شهادة الوفاة كان مصابا بضعف الإبصار كما قدمت، وهكذا فإنه لم يسجل هذه الأعراض التي كان يمكن أن تغير مجرى القضية وقتها... ولكن هكذا شاء القدر..!

- 7 -
الزهرة الزرقاء

نزل السيد "هنري كيترغ" مدير بوليس "اسكتلانديارد" السابق ضيفا على صديقه العميد "آرثر بانتري" وزوجته ... وتكريما له أقامت الأسرة مأدبة عشاء دعي إليها أصدقاء الأسرة المقربون، وكانت بينهم الآنسة "ماربل" التي رشحها السيد "هنري" لتكون في عداد المدعوين والواقع أن السيدة "بانتري" رحبت بوجود هذه الضيفة على مائدة العشاء إذ قالت لمدير البوليس السابق:

– واظن انه يمكننا أن نعرض عليها حكاية "آرثر" عن العفاريت بعد العشاء... وسيكون من دواعي امتناني أن تجد لنا الآنسة "ماربل" حلا لهذه القضية الغريبة.

فقال السيد "هنري":

– لم أكن أعرف أن "آرثر" يؤمن بالعفاريت !!

– إنه لا يؤمن بها بالفعل ... وهذا هو ما يثير شديد قلقه. إن القصة حدثت لصديقه "جورج ريتشارد" وقد اقترنت بفاجعة مؤلمة ... وعلى كل حال فسوف تعرف التفاصيل حول مائدة العشاء.

وجلس الضيوف حول المائدة يستمعون بعد العشاء إلى العميد "آرثر بانتري" متورد الوجه وهو يقص عليهم القصة بناء على طلب زوجته، فراح يقول:

– لا أظن أن بينكم من يعرف "جورج ريتشارد" إنه شخصية طيبة فاضلة، وزوجته ... لا بأس فإن المسكينة توفيت و يكفي أن أقول إنها لم تهيئ لـ"جورج" شيئا من الراحة عندما كانت على قيد الحياة فقد كانت المريضة الخالدة" كما يقولون ... وكانت إلى جانب ذلك كثيرة النزوات، متسلطة، غير معقولة.. وكانت تشتكي من كل شيء من الصباح إلى المساء.. وكان المفروض أن يظل "جورج" عبدا لها، يمتثل لأوامرها ونواهيها... ولو كان زوجها غير "جورج" لقطع رأسها منذ زمن بعيد. أليس كذلك يا عزيزتي

"دوللي" ؟

فاجابت زوجته بلهجة جادة :

– لقد كانت امرأة شنيعة ... ولو كان "**جورج**" قطع رأسها وكانت هناك امرأة بين المخلفين في محاكمته ، لبرئت ساحته تماما .

فاستطرد العميد "**بانتري**" قائلا :

– لست أدري تماما كيف بدأت القصة . ولكن السيدة "**ريتشارد**" كانت تؤمن بالمنجمين والعرافين وقارئي البخت ولم يمانع "**جون**" في هذا؛ رغبة منه في مجاراتها حتى يتقي شر شكواها التي لا تنتهي .

وكان يتعاقب على المنزل ممرضات عديدات لرعايتها .. ولكنها كانت لا تلبث أن تبدلهن بعد أسابيع معدودة ... وكانت بينهن ممرضة شابة لها شغف بهذا اللون من التنجيم والعرافة ، وقد تعلقت السيدة "**ريتشارد**" بها كثيرا ... ولكنها لم تلبث أن انقلبت عليها وأصرت على طردها . ثم استعادت ممرضة أخرى كانت عندها من قبل هي الآنسة "**كوبلنج**" وكانت أكبر سنا وذات تجارب في معالجة هذا اللون من النزوات العصبية ... وقال "**جورج**" في وصف الآنسة "**كوبلنج**" هذه إنها معقولة وذات كفاءة إذ كانت تعرف كيف توقف نزوات زوجته عند حدها .

وكانت السيدة "**ريتشارد**" تتناول طعام الغداء في غرفتها بصفة دائمة وقد اتفقت الممرضة الآنسة "**كوبلنج**" مع "**جورج**" على أن تكون نوبة الخدمة بعد الظهر وأصبح من حق الممرضة حسب الاتفاق أن تنتهي من الخدمة من الساعة الثانية إلى الرابعة بعد الظهر ولكنها كانت إكراما لـ"**جورج**" تؤجل انصرافها إلى ما بعد الساعة الخامسة موعد الشاي؛ لكي يستمتع بهوايته في لعب الجولف.

وقد حدث ذات يوم أن الآنسة "**كوبلنج**" أخبرت "**جورج**" بأنها ذاهبة في وقت راحتها لزيارة أخت لها في حي "**جولدن جيت**" ولمارات امتعاضه قالت له :

– إن السيدة "**ريتشارد**" لن تكتشف غيابي بعد ظهر اليوم .. ستكون عندها

ضيفة تسليها ... هي "**زاريدا**" العرافة

فلم يتمالك "**جورج**" أن تأوه قائلا :

– رباه أهذه عرافة جديدة ؟

– جديدة تماما و أظن أنها من طرف الممرضة "**كارستر**" ، التي سبقتني ... إن السيدة "**ريتشارد**" لم ترها بعد ... وقد طلبت مني أن أكتب إليها ، وحددت الموعد بعد ظهر اليوم .

فقال "**جورج**" :

– لا بأس ، على أي حال سأذهب للعب الجولف .

وعند عودة الزوج إلى المنزل وجد السيدة "**ريتشارد**" في حالة هياج شديد.....

وكانت مستلقية كعادتها على "**أريكة المرض**" ، وبين يديها زجاجة أملاح النشادر التي اعتادت أن تستنشقها على فترات .

وما كادت السيدة "**ريتشارد**" تبصر زوجها حتى هتفت قائلة :

– ألم أقل من قبل إن هذا المنزل لا يضم لنا خيرا .. إن العرافة أكدت هذا عند دخولها ، إذ قالت على الفور :

" هنا شيء ينتظر ... سر وخطر ... إنني أشم روائحه "

فرد عليها "**جورج**" ضاحكا:

– لم يكن من الحكمة أن تقول هذا !

فاغمضت الزوجة عينيها ، وتنشقت الزجاجة طويلا قائلة :

– لشد ما تكرهني ، إنك سوف تصغر وتضحك لو رأيتني أموت

فاحتج "**جورج**" على هذا الكلام ، وجعل يطيب خاطرها ولما سألها عما قالته العرافة عن هذا أجابت قائلة :

– لم تقل كثيرا ولكنها عندما لمحت بعض أزهار البنفسج في زهرية أمامي هتفت تقول لي : ابعدي هذه الأزهار .. لا أزهار زرقاء .. إن الأزهار الزرقاء مصدر هلاك لك .. تذكري هذا ..

ثم أضافت السيدة "**ريتشارد**" تقول لزوجها :

– إنني أشعر بتشاؤم غريزي منه .

فلم يكذبها الزوج ولم يناقض كلامها، بل سألها عن أوصاف "**زاريدا**" العرافة ، فراحت تقول بحماس :

– شعرها أسود ملفوف في دوائر فوق الأذنين ... عيناها نصف مغمضتين وحولهما دوائر سوداء كبيرة ...و هناك قناع أسود على رقبتها وذقنها ، ولهجتها أجنبية وهي إسبانية على ما أظن .

فقال "**جورج**" بلهجة المرح :

– هذه مستلزمات المهنة كالعادة .

وفي الحال أغمضت الزوجة عينيها قائلة :

– إن المرض عاودني .. اضغط الجرس للممرضة ... إن سخريتك تهددني وتتلف أعصابي ...

وبعد يومين جاءت الممرضة "**كوبلنج**" تخبر "**جورج**" بأن زوجته في حالة اضطراب شديد بسبب رسالة تلقتها ...

وعندما خف إلى جانبها ناولته الرسالة التي كانت معطرة ... ومكتوبة بخط أسود كبير بالنص التالي :

"إني رأيت مستقبلك ... احذري قبل أن يفوت الأوان ... احذري القمر بدرا، إن زهرة "**الربيع الزرقاء**" هي النذير ... وزهرة "**الهولي هوك الزرقاء**" تعني الخطر ... وزهرة "**الجاردينيا الزرقاء**" تعني الموت ..."

وعندما هم الزوج بأن يقهقه ضاحكا لمح الممرضة "**كوبلنج**" تومئ إليه محذرة... فقال لزوجته :

– ربما أرادت المرأة تخويفك يا "**ماري**" ... على أي حال لا توجد زهرة ربيع ولا زهرة جاردينيا زرقاء .

ولكن السيدة "**ريتشارد**" أخذت تنتحب وتقول إن أيامها أصبحت معدودة .

وعندما خرجت الممرضة "**كوبلنج**" مع "**جورج**" قالت له بلهجة الجد :

– إنني لا أؤمن بمسألة قراءة الطالع فهذا كلام فارغ ... ولكن أمر هذه العرافة

يحيرني .. فقد قالت السيدة "**ريتشارد**" إن "**زاريدا**" بدت لها وكأنها غير غريبة عنها، وبعد أربعة أيام وقع الحادث الأول ... ولكي أشرح لكم الموقف أقول إن غرفة السيدة "**ريتشارد**" كانت حوائطها مكسوة بالورق الذي تكثر فيه الأزهار الملونة ، حتى لتبدو الغرفة وكأنها حديقة ، وبينها بالتأكيد أنواع من زهرة الربيع صفراء وقرمزية .. وقد حدث ذات صباح أن قرعت السيدة "**ريتشارد**" الجرس بعنف ، وعندما أسرع إليها أهل المنزل جميعا وجدوها في أشد حالات الانفعال وأشارت لهم إلى ورق الحائط .

وبين مجموعات زهرة الربيع شاهدوا زهرة "**زرقاء**" بالفعل " وكان السؤال المطروح هو : ألم تكن زهرة الربيع الزرقاء موجودة في مكانها هكذا طول الوقت ؟

كان هذا هو رأي "**جورج**" و الممرضة .. لكن السيدة "**ريتشارد**" لم تأخذ بهذا الكلام بأي حال ، وأكدت أنها لم تلاحظ لون الزهرة "الأزرق" إلا في هذا الصباح وكان القمر ليلتها بدرا وتولاها الاضطراب والجزع على الفور .

وهنا تدخلت السيدة "**بانتري**" قائلة :

– إنني قابلت "**جورج ريتشارد**" في ذلك اليوم بالفعل ، وأخبرني بما حدث وأذكر أنني قابلت أيضا صديقتنا "**جين إينستو**" وأخبرتها بذلك . والغريب أنني وجدتها مرتاحة إلى هذه النتيجة ، وقالت إن زوجة تنغص حياة زوجها على تلك الصورة تستحق أن يصيبها الفزع حتى الموت ... وقالت لي كلاما لا أنساه :

نعم ... إن "**جورج**" المسكين يستحق العطف ..فهو شخصية ... جذابة وكانت الممرضة السابقة تراه كذلك – أعني الممرضة الحسناء المدعوة "**كارستر**" ...وكان ذلك هو سبب المشاحنة التي حدثت بينها وبين السيدة "**ريتشارد**" واستغنت عنها على أثرها

ولقد استنكرت هذا الكلام بالتأكيد من "**جين**" ...

فقالت الآنسة "**ماربل**" بهدوء تعقيبا على ما سمعته :

– لك حق يا عزيزتي ... هل "**جين إينستو**" فتاة جميلة ؟ أظنها تلعب

الجولف ؟

– نعم ... هي بارعة في كل الألعاب ... وهي جميلة وجذابة ... وكان من رأينا جميعا أن الظروف لو اختلفت عما كانت عليه ، لكانت هي و"**جورج**" خير من يليقان كل منهما للآخر .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– وهل كانا صديقين ؟

– إلى أبعد الحدود .

فقال العميد "**بانتري**" لزوجته بلهجة الشكوى :

– هل يمكن يا "**دوللي**" أن تسمحي لي بإتمام بقية القصة ؟ ...

– إن "**آرثر**" يريد أن يعود إلى قصة العفاريت !

واستطرد "**بانتري**" يقول :

– في الواقع أن السيدة "**ريتشارد**" زادت حالتها سوءاً قرب نهاية الشهر التالي .. فقد جاءت بتقويم ، ووضعت علامة على التاريخ الذي يصير فيه القمر بدرا ... وفي تلك الليلة استدعت إلى غرفتها الممرضة ثم "**جورج**" وطلبت منهما أن يفحصا حالة ورق الحائط جيدا ... كان أمامهم أزهار الجاردينيا حمراء وقرمزية وليس بينها أزهار زرقاء وعندما انصرف "**جورج**" من الغرفة سارعت إلى إغلاق الباب على نفسها ...

فلما كان الصباح ووجدت بين أزهار الجاردينيا زهرة فوق راسها تحولت إلى اللون "**الأزرق**" ... فذهل "**جورج**" ... ولكنه أبى أن يأخذ المسألة مأخذ الجد وقال إنها مجرد مزحة ، وتجاهل دليل الباب المغلق ، واكتشاف زوجته لهذا التغيير قبل دخول أحد إلى الغرفة حتى الممرضة "**كوبلنج**" .

ورغم هذا كله لم يستسلم "**جورج**" لإلحاح زوجته بالانتقال إلى منزل آخر مع أنه كان ينزل دائما على رغباتها واعتبر المسألة كلها من قبيل الخزعبلات والأوهام .

وهكذا تعاقبت أيام الشهر التالي وكفت السيدة "**ريتشارد**" عن الشكوى

والاحتجاج ، وكأنها لفرط إيمانها بالخرافات أصبحت مستسلمة لمصيرها .. ولم تكف عن ترديد كلمات الرسالة التي تلقتها : "**زهرة الربيع الزرقاء**" نذير .. وزهرة "**الهولي هوك الزرقاء**" تعني الخطر وزهرة "**الجاردينيا الزرقاء**" تعني الموت" ... وأصبحت وهي ممددة فوق أريكتها تطيل النظر إلى أزهار "**الجاردينيا**" القرمزية والحمراء قرب الأريكة .

كانت الحالة مثيرة للأعصاب ، لدرجة أن الممرضة سرت إليها العدوى .. فقد ذهبت إلى "**جورج**" قبل حلول موعد البدر ترجو أن يبعد السيدة "**ريتشارد**" من هذا المكان ... ولكنه غضب وصاح في وجهها :

– لو استحالت جميع الأزهار فوق حوائط الغرفة إلى شياطين "**زرقاء**" فإنها لن تقتل أي إنسان !

– ربما تقتل هذه المرأة فإن الصدمة قتلت أناسيّ قبل الآن .

– كلام فارغ الـ ..

والحق أن "**جورج**" كان عنيدا إلى حد ما، ولعله كان يظن في دخيلة نفسه أن زوجته تحدث هذه التغييرات استسلاما لنزوات هيستيرية إلى أن جاءت الليلة المشؤومة ... فقد أغلقت السيدة "**ريتشارد**" الباب على نفسها . وكانت في أتم حالات الهدوء – حتى قلقت الممرضة لحالتها ، ولما أرادت أن تعطيها حقنة منشطة رفضت رفضا تاما .

وفي الصباح لم يحدث قرع عنيف للجرس وكان من عادة السيدة "**ريتشارد**" أن تستيقظ في الثامنة صباحا .. فلما كانت الثامنة والنصف بدون إشارة من ناحيتها، طرقت الممرضة بابها عاليا وعندما لم تجد ردا ، أسرعت إلى "**جورج**" وأصرت على فتح الباب بالقوة فكان ما أرادت ..

كانت نظرة واحدة من الممرضة "**كوبلنج**" إلى الجسم الساكن كافية .. وقد طلبت من "**جورج**" استدعاء الطبيب تليفونيا ، ولكن "سبق السيف العذل" .. فقد قرر الطبيب أن السيدة "**ريتشارد**" لابد أن تكون قد توفيت منذ ثماني ساعات على الأقل ، وكانت زجاجة أملاح النشادر بيدها في الفراش وشُوهدت

إحدى زهرات "**الجاردينيا**" القرمزية على الحائط قرب الفراش وقد استحالت إلى اللون "**الأزرق**" ..

عندئذ تدخل السيد "**هنري**" قائلا وقد قطب وجهه :

– ألم توجد تفاصيل أخرى ؟

فهز العميد "**بانتري**" رأسه .. ولكن زوجته سارعت تقول :

– والغاز ؟ ..

فقال السيد "**هنري**" :

– عندما وصل الطبيب كانت هناك رائحة غاز خفيفة ، وبالفعل وجد صنبور الغاز في المدفأة مفتوحا قليلا .. لكنه كان من القلة بدرجة ليست لها أهمية .

– ألم يلاحظ السيد "**ريتشارد**" والممرضة رائحة الغاز عندما دخلا الغرفة أول مرة؟

– لقد قالت الممرضة إنها لاحظت رائحة خفيفة وقال "**جورج**" إنه لم يلاحظ الغاز ، ولكن شيئا جعله يشعر بالغرابة والانقباض .. على انه عزا ذلك إلى صدمة الموقف ، وعلى أي حال لم يثبت حدوث تسمم بالغاز فإن الرائحة كانت ضئيلة .

– وهل هذه هي نهاية القصة ؟

– لا .. فقد تناثرت الأقاويل بعد ذلك .. فإن الخدم مثلا سمعوا السيدة "**ريتشارد**" وهي تقول لزوجها إنه يكرهها ، وإنه سوف يصفر فرحا لموتها .. ومن ذلك قولها أيضا إنها ترجو إذا هي ماتت بالفعل أن يعرف الجميع انه قتلها ..

واقترن بهذا سوء حظ غريب فقد تصادف أنه كان في اليوم السابق ذاته يجهز مادة مبيدة للزنابير في الحديقة ، وقد شاهده أحد الخدم وهو يفعل ذلك ثم شاهده بعد ذلك وهو يحمل كوب لبن ساخن لزوجته .

ثم تزايدت الأقاويل وانتشرت .. كان الطبيب قد أعطى شهادة بأن الوفاة حدثت نتيجة صدمة أو هبوط في القلب ، أو أي تعبير طبي من هذا القبيل .. ولكن نظرا للظروف التي اقترنت بالوفاة ، فقد رفع التماسا باستخراج الجثة من مدفنها لتشريحها ، وتمت الموافقة على الالتماس .

فقال السيد "**هنري**" برصانة :

– وأذكر أن نتيجة التشريح جاءت سلبية ، وهكذا كانت القضية أقرب إلى دخان بلا نار .

فقالت السيدة "**بانتري**" :

– إن الحكاية كلها غريبة جداً .. فهناك مثلاالعرافة "**زاريدا**" .. فإنهم لم يعثروا على أحد بهذا الاسم في العنوان المفترض وجودها فيه !

فقال العميد "**بانتري**" :

– إنها ظهرت مرة واحدة كأنما جاءت من الفضاء ثم تبخر كل أثر لها !

وأضافت السيدة "**بانتري**" :

– وأكثر من هذا ، فإن الممرضة الشابة "**كارستر**" التي كان المظنون أنها هي التي أوصت بـ"**زاريدا**" ، أكدت أنها لم تسمع حتى بوجودها !

وعندئذ قالت الآنسة "**ماربل**" بصوتها الرقيق :

– وهل تزوج السيد "**ريتشارد**" والآنسة "**جين إينستو**" ؟

فهز العميد "**بانتري**" رأسه قائلا :

– إننا .. إننا توقعنا شيئا من هذا القبيل .. لكن مضت الآن سنة ونصف السنة ولا اعتقد أنهما يتقابلان بأي حال .

– هذه نقطة مهمة .. مهمة جداً !!

فقالت السيدة "**بانتري**" :

– إذن أنت تظنين مثلما أظن ؟ والحقيقة أن فكرة جامحة خطرت لي .. فربما عمدت "**جين إينستو**" إلى التنكر في زي العرافة ، لمجرد المزاح بالتأكيد..

وربما كانت السيدة "**ريتشارد**" من البلاهة حتى استسلمت للفزع الذي يؤدي إلى الموت ، فربما كان هذا ما تعنيه الآنسة "**ماربل**" .

فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها نفيا وقالت :

– لا يا عزيزتي ، ليس هذا ما أعنيه ، ولكن أحب أن ألفت أنظاركم إلى أشياء غابت عن أذهانكم : أولها – أن السيد "**ريتشارد**" كما تصفونه جميل

جذاب، وثانيا – أنه لم يعثر على العرافة في العنوان الذي ذكرته . في حين أن السيدة "**ريتشارد**" كانت قد أرسلت خطابا إليها بذلك العنوان ، وأن الممرضة هي التي كتبته .

– أتعنين الممرضة الحسناء الشابة "**كارستر**" ؟

– لا ، لا بل أعني الممرضة الأخرى الآنسة "**كوبلنج**" .

وغمغم الجميع في دهشة :

– الآنسة "**كوبلنج**" ؟ الـ . .

– نعم ، لقد خدمت السيدة "**ريتشارد**" من قبل ، فلماذا قبلت العودة رغم إدراكها التام لطباع السيدة "**ريتشارد**" التي لا تطاق ؟ لقد عادت من أجل "**جورج ريتشارد**" الذي تجمعون على أنه وسيم جذاب وطيب القلب . والمعتاد أن مثل هذا الرجل يكون موضع الإعجاب أولا ثم الحب ثانيا ، ولعل المسكينة ظنت أن الطريق إلى قلبه ممهد بسبب حالة زوجته ولم تكن تعرف بالتأكيد علاقته بالآنسة "**جين إينستو**" . فلما علمت بها بعد فوات الأوان ، بذلت كل ما في وسعها لتثير حول المسكين هذه الزوبعة من الاتهامات والشكوك ولكنني أعتقد أن الشيء الوحيد الذي كشف سرها أمامي هو الخطاب .

– أي خطاب ؟

– الخطاب الذي كتبته إلى العرافة بناء على رغبة السيدة "**ريتشارد**" . لقد كتبت هي الخطاب بخط يدها وكتبت بالتأكيد عنوان العرافة على الظرف ، وحددت للعرافة – بناء على رغبة السيدة "**ريتشارد**" أيضا – الموعد الذي تجيء فيه .

فإذا كان البحث قد أثبت أنه لا توجد عرافة بهذا الاسم ، ولم يهتد إليها أحد في العنوان الذي قيل إنها مقيمة فيه ، وإذا ثبت أن الآنسة "**كارستر**" الممرضة السابقة أنكرت تماما كل معرفة لها بعرافة تدعى "**زاريدا**" . أقول إذا ثبت هذا وذاك ، فكيف وصل الخطاب إلى العرافة المزعومة ، وكيف جاءت في الموعد المحدد ؟ المعقول أن الآنسة "**كوبلنج**" تظاهرت بكتابة الخطاب وإرساله ، وتنكرت هي في هيئة

العرافة المزعومة . ولعلكم تذكرون أن السيدة "**ريتشارد**" قالت إن في سمت تلك العرافة شيئا مألوفا لديها ، هناك احتمال أن تتعرفها السيدة "**ريتشارد**" . وحتى لو تعرّفتها بالفعل لزعمت الآنسة "**كوبلنج**" أن الأمر كله دعابة للتسلية .

وعندئذ قال السيد "**هنري**" :

– ولكن هل تريدين أن تقولي إن الممرضة "**كوبلنج**" عمدت إلى هذه الحيلة لتملأ قلب السيدة "**ريتشارد**" بالفزع الذي يؤدي إلى موتها؟

– لا، لا ياعزيزي . . إن الآنسة "**كوبلنج**" كممرضة ، لا تستطيع أن تعتمد على شيء واه كهذا وإن مسألة التحذير والإنذار والأزهار الزرقاء وما إلى هذا لم تكن إلا نوعا من التمويه أو الخداع الذي يخفي الحقيقة .

– وما هذه الحقيقة يا آنسة "**ماربل**" ؟

– لعلكم تعرفون جميعا سم "**سيانيد البوتاسيوم**" الذي يستعمله البستانيون في قتل الحشرات الضارة كالزنابير ، لا سيما في أيام الصيف الجميلة . إن هذا السم يشبه تماما أملاح النشادر . . ومعنى هذا أنه كان من الممكن وضعه في زجاجة المسكينة السيدة "**ريتشارد**" بدلا من أملاح النشادر الحقيقية . وقد قال العميد إن "**جورج**" شاهد زجاجة النشادر ملقاة بجانب زوجته الميتة ، وبالتأكيد أمكن للآنسة "**كوبلنج**" – في أثناء انشغال "**جورج**" باستدعاء الطبيب تليفونيا أن تسترد الزجاجة الملقاة التي تحتوي على "**سيانيد البوتاسيوم**" وأن تضع مكانها زجاجة أخرى شبيهة بها تحتوي على أملاح النشادر .

لقد كانت عملية بسيطة يمكن أن تقوم بها بسرعة وخفة ، كما كان يمكنها في الوقت نفسه أن تدير صمام أنبوبة غاز المدفأة قليلا حتى تحجب رائحة الغاز أية رائحة أخرى لأملاح "**سيانيد البوتاسيوم**" ، قد تكون باقية في الغرفة بعد فتح الباب . وقد سمعت أن سم السيانيد لا يترك أثرا في الجسم إذا مضت مدة طويلة عليه ، ولكنني قد أكون مخطئة ، ولعلها تكون قد وضعت شيئا آخر في الزجاجة لا تعرفه .

– ولكن ماذا عن "**الجاردينيا**" الزرقاء وما إلى هذا ؟

– إن لدى الممرضات دائما ورق عباد الشمس الذي يستعمل في اختبارات التفاعل الكيميائي أليس كذلك ؟ لقد اشتغلت ممرضة في شبابي بضعة أشهر ولهذا أعرف أن ورق عباد الشمس الأزرق يتحول إلى أحمر بالأحماض ، والأحمر يتحول إلى أزرق بالقلويات ومن السهل جداً أن تلصق الآنسة "**كوبلنج**" ورقة عباد شمس حمراء على زهرة حمراء في ورق الجدار بالقرب من سرير السيدة "**ريتشارد**" . وعندما تستعمل هذه المسكينة أملاح النشادر القلوية فإن غاز الأمونيا القوي المنساب منها يحوّل – تدريجيا – لون ورقة عباد الشمس الحمراء الملصقة على الزهرة الحمراء إلى اللون الأزرق وهي طريقة في الواقع تدل على مكر عجيب وذكاء أعجب .

وبالتأكيد لم تكن زهرة "**الجاردينيا**" زرقاء عندما دخل "**جورج**" والممرضة الغرفة صباحا بعد كسر الباب . إن أحدا لم يكن في حالة تسمح له بان يلاحظ معها أزهار ورق الجُدر ، بل كان الانتباه مركزا على المتوفاة ، ولكن الملاحظة جاءت فيما بعد ، أي بعد أن استبدلت الآنسة "**كوبلنج**" زجاجة السم ، بزجاجة أملاح النشادر ، وأعتقد أنها فتحتها برهة بجانب زهرة "**الجاردينيا**" فوق السرير الملتصقة عليها ورقة عباد شمس حمراء .

وعندئذ قال السيد "**هنري**" :

– إنك يا آنسة "**ماربل**" تكتشفين الغموض كما لو كنت هناك .. في مسرح الحادث .

فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها وقالت :

– إن الذي يقلقني الآن هو موقف المسكين "**جورج**" وصديقته "**جين إينسعو**" فمن المحتمل أن كلا منهما يرتاب في أن الآخر عمل على قتل السيدة "**ريتشارد**" ولهذا يحاول أن يتجنبه والحياة أقصر من أن تضيع سدى بسبب هذه الشكوك والوساوس .

وابتسم السيد "**هنري**" قائلا :

– لا داعي للقلق فإني أحتفظ لك بمفاجأة في هذا الشأن .. لقد ألقي القبض

أخيرا على ممرضة متهمة بقتل مريضة عجوز أوصت لها بمبلغ كبير من تركتها، وكانت وسيلة القتل هي وضع "**سيانيد البوتاسيوم**" بدلا من أملاح روح النشادر التي كانت تستعملها المريضة العجوز . إن الممرضة هي الآنسة "**كوبلنج**" نفسها ، وقد كررت نفس الطريقة في ارتكاب الجريمة الثانية . ومن يدري كم من الجرائم ارتكبت قبل أن تقع بين يدي العدالة . ولا شك أن السيد "**جورج ريتشارد**" ، حين يعرف هذه الحقيقة ، لن يتردد في إعادة العلاقة الطيبة مع "**جين إينسعو**" .

فقالت السيدة "**بانتري**" :

– إن العلاقة هذه المرة ستكون علاقة زواج بالتأكيد .

- 8 -
الحب القاتل

ألح الضيوف على السيدة "**بانتري**" أن تكون هي صاحبة القصة الغامضة هذه الليلة لكي يتنافسوا في حل غوامضها .

وبعد تردد وتمنع راحت المضيفة تقول مستسلمة :

– كنا وقتها ضيوفا على السيد "**أمبروز بيرسي**" المقيم في "**كوبنهام كورت**" .. وذات يوم حدث أن اقتطف بعضهم من حديقة المنزل بطريق الخطأ كمية من نبات "كف الثعلب" السام مع أعواد "**الكزبرة**" ، وحشيت بها البطة التي قدمت للعشاء، فأصيب الجميع بنوبة مغص شديدة ، توفيت بسببها فتاة مسكينة هي ربيبة السيد "**أمبروز**" .

وعندما توقفت السيدة "**بانتري**" قال السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق :

– حسنا .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

– هذه هي كل القصة .

فقال السيد "**هنري**" معاتبا :

– لا يمكن أن تكون هذه كل القصة يا عزيزتي .. وإذا كنت بهذا تريدين إثارة فضولنا ، فإنني أقبل التحدي وأقترح أن نقوم نحن بتوجيه الأسئلة ، فما رأيك في أن تبدئي يا آنسة "**ماربل**" ؟

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– أود أن أعرف شيئا عن الطاهية .. لابد أن تكون مخلوقة غبية جداً ، أو عديمة الخبرة بالمرة .

فأجابت السيدة "**بانتري**" :

– إنها كانت مثال الغباء بالفعل .. وقد بكت كثيرا بعد الفاجعة ، وقالت إن أوراق النبات قد اقتطفت من الحديقة وقدمت إليها باعتبارها حشوا للبط ، وما كان لها أن تعرف غير ذلك .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إنها ليست إذن من النوع الذي يفكر بنفسه .

وجاء دور الفتاة الحسناء "**جين هيلر**" في توجيه الأسئلة فقالت :

– هل يمكن أن تعرف أبطال الحادث حسب الظهور على المسرح ، كما نقول نحن أهل الفن ؟

فراحت السيدة "**بانتري**" تعدهم على أصابعها قائلة :

– هم السيد "**أمبروز بيرسي**" المضيف ، و "**سيلفيا كين**" ربيبته التي تُوفيت في الحادث ... و "**مودواي**" ، وهي فتاة سمراء كريهة من نوع الفتيات اللاتي يحاولن فرض أنفسهن على المجتمعات ، والسيد "**كورن**" خبير الكتب والمخطوطات القديمة الذي جاء للمناقشة مع السيد "**أمبروز**" في هذه المسائل و "**جيري لوريمر**" جار السيد "**أمبروز**" ، والسيدة "**كاربنتر**" المتصابية .

فقال السيد "**هنري**" :

– نريد بعد هذا وصفا لكل واحد من هؤلاء .. تكلمي أولا عن السيد "**أمبروز**" .

– كان يناهز الستين من عمره ذا شخصية مرحة جذابة ولكنه كان معتل الصحة ، إذ كان مصابا بضعف في القلب اضطره إلى تركيب مصعد في المنزل ، مما جعله يبدو أكبر من سنه .

فقال السيد "**هنري**" :

– والآن تكلمي عن الفتاة "**سيلفيا كين**" .

– كانت فتاة جميلة، وافرة الحسن ، شقراء الشعر، ناعمة البشرة .. ولكنها كانت أقرب إلى الغباء منها إلى الفطنة .

– والسيدة "**كاربنتر**" المتصابية ؟

– كانت أرملة في أوائل الخمسين ، مغرمة بمصاحبة الطبقة الأرستقراطية، ولكنها كانت خاوية الوفاض .

– والسيد "**كورن**" ؟

– كان رجلا مسنا متحمسا إلى درجة الجنون فيما يختص بالمخطوطات والكتب القديمة ، خصوصا اللاتينية .

– و "**جيري لوريمر**" الجار ؟ ولا أظن أن معرفة السيد "**أمبروز**" به كانت وثيقة

– كان شابا موفور الجاذبية .. وكان خطيب "**سيلفيا**" ، وهذا ما جعل للمأساة طابعها الحزن الأليم .

فقال السيد "**هنري**" :

– وهل كانت خطبتهما منذ مدة ؟

– منذ سنة تقريبا .. وقد عارض السيد "**أمبروز**" الخطبة على أساس أن "**سيلفيا**" صغيرة السن ، ولكن بعد انقضاء السنة مال إلى الموافقة ، وكان مقررا عقد الزواج بعد فترة قصيرة .

– وهل كان للخطيبة أية ثروة ؟

– لم تكن تملك أكثر من إيراد يبلغ حوالي مائتي جنيه في السنة .

وعندئذ قال السيد "**هنري**" :

– الدور الآن على الدكتور "**لويد**" في توجيه الأسئلة فقال الطبيب العجوز

وكان بين المدعوين :

– إن اهتمامي يتركز في الناحية الطبية ، وأود أن أعرف التقرير الطبي الذي صدر في أثناء التحقيق .

فأجابت السيدة " **بانتري** " :

– كل ما أتذكر أن الوفاة حدثت بسم " **الديجيتالين** " . فأومأ الدكتور " **لويد** " قائلا :

– إن العنصر الفعال في نبات " كف الثعلب " – وهو " **الديجيتالين** " – يؤثر في القلب .. والواقع أنه عقار مفيد جداً في بعض حالات اضطرابات القلب وهذه قضية غريبة جداً في الواقع ، وما كنت أعتقد أن تناول أوراق نبات "كف الثعلب" يمكن أن تنتج منه إصابة مميتة . إن الأفكار السائدة عن أكل أوراق نباتات سامة هي أفكار مبالغ فيها فإنها قد تؤدي إلى ظهور أعراض التسمم ولكنها لا تؤدي إلى الوفاة .

فقال السيد "**هنري**" :

– لنبدأ الآن تحقيق هذه الجريمة .

فانتفضت " **جين هلير** " الممثلة الحسناء قائلة :

– جريمة ؟ .. لقد ظننته مجرد حادث عارض .

فأجاب السيد " **هنري** " في دعة :

– لو أنه كان مجرد حادث لما تكلفت السيدة " **بانتري** " عناء سرد القصة ، وفي رأيي أنه حادث في الظاهر فقط . ولكن وراء الحادث يكمن عنصر جريمة .. واعتقادي أن أوراق نبات الديجيتالين "أو "كف الثعلب " هذه قد خلطت بنبات " الكزبرة " عمدا وبعد معرفة ماذا ستكون نتيجتها ومادمنا نستبعد الطاهية المعروفة بغبائها فإن السؤال المهم هو : من الذي قطف تلك الأوراق وقدمها إلى المطبخ ؟

فأجابت السيدة " **بانتري**" :

– إن "**سيلفيا**" نفسها هي التي حملت الأوراق إلى المطبخ .. فقد كان من

عملها اليومي أن تجمع السلطات وما يماثلها من الحديقة ، وكانت تشترك معها في ذلك السيدة " **كاربنتر** " بحكم ضيافتها المستمرة في المنزل فقد كانت بمثابة مرافقة لـ" **سيلفيا** " وكان في الحديقة ركن خاص لنبات " كف الثعلب " ونبات "**الكزبرة**" .. وهكذا فإن الخطأ كان مسألة طبيعية .

– ولكن هل اقتطفت " **سيلفيا** "ذاتها الأوراق ؟

– هذا ما لم يعرفه أحد .. وإن كان هو المفترض ،

فقال السيد " **هنري** " :

– إن الافتراض شيء خطر .

فقالت السيدة " **بانتري** " :

لكنني أؤكد أن السيدة" **كاربنتر** " لم تكن هي التي اقتطفت أوراق النبات .. فقد تصادف أن كانت تتمشى معي في الشرفة صباح ذلك اليوم بعد أن فرغنا من تناول الفطور .. وقد نزلت " **سيلفيا** " إلى الحديقة وحدها ، ولكنني رأيتها فيما بعد تسير مع "**مودواي**" وقد تأبطت ذراعها .

فقالت الآنسة " **ماربل** " :

– إذن فقد كانت الاثنتان صديقتين حميمتين .

وعادت الآنسة " **ماربل** " تقول :

– وهل كانت " **مودواي** " ضيفة على المنزل منذ مدة ؟

فأجابت السيدة " **بانتري** " :

– منذ أسبوعين سابقين

فقالت الآنسة " **ماربل** " مرة أخرى :

– يبدو من لهجتك أن هناك شيئا بشأن الفتاتين تحاولين كتمانه .. أليس كذلك يا سيد " **هنري** " ؟

فقال مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق مؤمنا على كلامها :

– صدقت يا آنسة " **ماربل** " .. والواجب أن تقولي يا سيدة " **بانتري** " كل ما تعرفينه دون أن تتحرجي من شيء .

فراحت السيدة " **بانتري** " تقول :

– حسناً .. كانت المسألة هكذا : حدث في مساء نفس الليلة التي وقعت فيها الفاجعة أنني خرجت أتمشى في الشرفة ، وكانت نافذة غرفة الجلوس مفتوحة وحانت مني التفاتة إلى الداخل ، فوقع نظري على " **جيري لوريمر** " يقبل " **مودواي** " .. ولم أعرف وقتها بالتأكيد إن كان هذا شيئا عارضا ، أو كان شيئا آخر .. إن الإنسان لا يستطيع الجزم في هذه الأمور .. ولكني كنت أعرف أن السيد " **أمبروز** " لم يكن يحب " **جيري لوريمر** " ولعل السبب أنه كان يعرف عنه هذه التصرفات .. ولكن هناك شيئا مؤكدا وهو أن تلك الفتاة " **مودواي** " ، كانت مغرمة بـ " **جيري لوريمر** " .. وأعتقد أيضا أنهما كانا أليق الواحد بالآخر من " **لوريمر** " و " **سيلفيا** " ؟

فقال السيد " **هنري** " :

– أريد أن أوجه سؤالا سريعا قبل أن تسبقني الآنسة " **ماربل** " .. أريد أن أعرف هل كان " **جيري لوريمر** " ، بعد الفاجعة ..قد تزوج " **مودواي** " ؟

فأجابت السيدة " **بانتري** " :

– نعم إنه تزوجها بالفعل ، بعد ستة أشهر . فقال العميد ، " **بانتري** " مداعبا زوجته :

– يا للمكر ! فكرنا كلنا عند بدء قصتك أنها أشبه بعظام مجردة . والآن نرى العظام مكسوة باللحم .

فقال السيد " **هنري** " معقبا :

– امرأتان ورجل الثلاثي البشري الخالد . فهل هذا هو الأساس الذي قامت عليه قضيتنا ؟

فبدأ دكتور " **لويد** " يقول :

– إنني فكرت في القضية ، ولكن قبل كل شيء .. هل أصبت أنت أيضا يا سيدة " **بانتري** " بنوبة المغص في تلك الليلة ؟

– لست أنا فقط ، بل زوجي " **آرثر** " أيضا ، وكل الضيوف .

– في رأيي أن من دبر هذا الحادث إما أنه فعل هذا عشوائيا معتمدا على الحظ ، أو بعامل الاستهتار القائم على عدم المبالاة بحياة الناس ، فإنني لا أكاد أتصور إنسانا يتصدى عن عمد وتدبير لتسميم ثمانية أشخاص بهدف التخلص من واحد بينهم .

فقالت " **جين هيلر** " :

– أو لم يكن محتملا أن يسمم نفسه أيضا في عداد الجميع ؟

فقالت الآنسة " **ماربل** " :

– هل تغيب أحد عن العشاء تلك الليلة ؟

فهزت السيدة " **بانتري** " رأسها قائلة :

– كانوا كلهم هناك .

– ما عدا السيد " **لوريمر** " يا عزيزتي . فإنه لم يكن مقيما في المنزل مع الضيوف . أليس كذلك ؟

فقالت السيدة " **بانتري** " :

– بلى صحيح . لكنه تناول العشاء مع الجميع .

فقالت الآنسة " **ماربل** " :

– أوه ! إن هذا من شأنه أن يوجد فارقا كبيرا في القضية كلها .

وقطبت الآنسة " **ماربل** " وجهها مستاءة ، وغمغمت قائلة :

– إنني كنت غبية .. غبية جداً في الواقع .

فقال السيد " **هنري** " مخاطبا الطبيب :

– أعترف بأن النقطة التي أثرتها يا دكتور تقلقني .. فما الذي كان يضمن أن الفتاة والفتاة وحدها – يمكن أن تتناول من الطعام الكمية التي تكفي لقتلها؟

فأجاب الدكتور " **لويد** " :

– لا ضمان .. والواقع أن هذا يجرني إلى النقطة التي كنت أرى عرضها ، ولنفرض أن الفتاة لم تكن هي الضحية المقصودة ؟

في حالات التسمم الغذائي تكون النتيجة غير مؤكدة بالمرة ، ونحن إزاء عدة أشخاص يشتركون في لون واحد من الطعام .. ماذا يحدث ؟ .. واحد أو اثنان منهم يشعران بانحراف .. واثنان آخران يصابان بنوبة مغص حادة ..

ولا شيء مؤكد بعد ذلك .. لكن هناك حالات يتدخل فيها عامل آخر .. إن "**الديجيتالين**" عقار يؤثر تأثيرا مباشرا .. والآن هناك شخص واحدفي ذلك البيت يشكو مرض القلب .. فماذا لو أنه كان هو الضحية المختارة ؟

إن ما لا يكون خطرا مميتا على الآخرين ، يكون خطرا مميتا بالنسبة إليه .. وهذا هو ما تصوره القاتل منطقيا .. أما وأن النتيجة قد اختلفت عن هذا التقدير ، فإن هذا برهان على ما قلته لكم ، وهو عدم إمكان التعويل على تأثير العقاقير في الكائنات البشرية .

فقال السيد "**هنري**" :

– أنت تظن إذن أن السيد "**أمبروز**" كان هو الشخص المقصود ؟

– نعم .. نعم .. وكانت وفاة الفتاة نتيجة خطأ .

فقالت "**جين هيلر**" الممثلة الحسناء :

– من يرث السيد "**أمبروز**" بعد وفاته الطبيعية ؟

فقال السيد "**هنري**" معقبا على السؤال :

– سؤال وجيه جداً يا آنسة "**هيلر**" .. إنه أول سؤال تعودنا أن نسأله في أثناء عملي في البوليس .

وقد أجابت السيدة "**بانتري**" بتؤدة :

– كان للسيد "**أمبروز**" ابن تخاصم معه منذ سنوات .. ولم يكن في استطاعة السيد "**أمبروز**" حرمانه من الميراث ، رغم عقوقه وسوء خلقه .. وهكذا ورث ابنه "**مارتن أمبروز**" اللقب والأملاك .. ولكن كانت هناك ممتلكات أخرى يستطيع السيد "**أمبروز**" التصرف فيها ، وقد تركها لوصيفته "**سيلفيا**" .. وأنا أعرف هذه التفاصيل لأن السيد "**أمبروز**" توفي بعد أقل من سنة بعد الأحداث التي ذكرتها لكم ، ولم يحاول أن يعد وصية جديدة بعد وفاة "**سيلفيا**" .. وأعتقد أن نصيب

الفتاة آل إلى الحكومة ، أو إلى الابن باعتباره الوريث الوحيد .

فقال السيد "**هنري**" ساهما :

– إذن فإن النتيجة كانت لمصلحة ابن لم يكن موجودا والفتاة توفيت بدورها .. هذه نتيجة لا تشجع على البحث في القضية .. الآنسة "**ماربل**" .. أراك لا تنصتين .. أنت بعيدة عنا في واد آخر

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إنني كنت أفكر في قصة السيد "**بادجر**" الصيدلي العجوز .. كانت عنده مشرفة منزل صغيرة السن ، تعتبر في سن أولاده ، بل أحفاده .. وكان لأهل بيته وأبناء وبنات إخوته وإخوته آمال كبار في ثروته .. وعندما توفي ولعلكم تصدقون هذا – تبين أنه كان متزوجا سرا بالمشرفة الشابة على مدى سنتين .. نعم إن السيد "**بادجر**" كان فظا من السوقة ، ولكن السيد "**أمبروز**" كان شخصية ممتازة كما وصفته لنا السيدة "**بانتري**" .. ومع ذلك فإن الطباع البشرية هي هي في كل مكان .

ساد الصمت برهة ، وتطلع السيد "**هنري**" إلى الآنسة "**ماربل**" يتفرس فيها طويلا ولكنها ردت على نظراته بابتسامة رقيقة ونظرات يشوبها الغموض .

وأخيرا قالت السيدة "**بانتري**" :

– والآن ما رأيكم في قصتي ؟ ما حل هذا اللغز ؟ .. تكلم أنت أولا يا سيد "**هنري**" .

فراح مدير البوليس السابق يقول :

– سأتكلم بطريقة تحليلية لابد منها لأنه ليس هناك شيء قاطع في هذه القضية .. هناك أولا السيد "**أمبروز**" .. إنه لن يفيد حتما من موت ربيبته ، ولهذا فهو مستبعد كقاتل .. وكذلك السيد "**كورن**" خبير المخطوطات والكتب القديمة إذ لا دافع له لقتل الفتاة .

ولو افترضنا أن السيد "**أمبروز**" كان هو الضحية المقصودة لاستيلائه مثلا على مخطوطات نادرة من السيد "**كورن**" فإن هذا لا يمكن أن يكون دافعا للقتل بأي

حال .. وهكذا نستبعد السيد " كورن " أيضا .

نتنقل إلى الآنسة " **مودواي** " .. لا دافع لها لقتل السيد " **أمبروز** " .. ولكن هناك دافعا قويا لكي تقتل " **سيلفيا** " .. فقد كانت طامعة في خطيبها ، وكانت تريده لنفسها طبقا لما قالته السيدة " **بانتري** " .. وكانت " مود " مع " **سيلفيا** " في الحديقة في صباح ذلك اليوم ، وهكذا كانت أمامها فرصة لاقتطاف أوراق النبات .. نعم .. لا يمكننا استبعاد "**مودواي** " بسهولة .

نتكلم الآن عن " **لوريمر** " الشاب .. لقد كان له دافع للقتل في كلتا الحالتين .. إذا تخلص من خطيبته كان في استطاعته أن يتزوج الاخرى .. ومع ذلك يبدو أنها خطوة عنيفة؛ لان فسخ الخطبة مسألة يسيرة هذه الايام .. وإذا توفي السيد "**أمبروز** " ، أمكنه الزواج بفتاة وارثة غنية ، بدلا من فتاة فقيرة .

وعن السيدة " **كاربنتر** " أقول لكم إنني أرتاب في أمرها فإنني لا أرتاح إلى هذا الصنف المداهن من النساء .. ثم إن نقطة تبرئة نفسها بوجودها مع السيدة " **بانتري** " وقت اقتطاف النباتات ربما كانت خطوة مدبرة لإخفاء الحقيقة وإذا كان لابد من تلخيص الموقف في شخص واحد فإنني أحصر شكوكي .. في " **مودواي** " ؛ لان الادلة ضدها أكثر من الأدلة ضد غيرها .

فقالت السيدة " **بانتري** " مشيرة إلى الطبيب :

– وانت يا دكتور " **لويد** " ؟

فاجاب الطبيب يقول :

– أظن أنك مخطئ يا سيد " **هنري** " في التمسك بالنظرية القائلة بان الفتاة كانت هي المقصودة بالقتل .. إنني مقتنع بأن القاتل كان ينوي التخلص من السيد " **أمبروز** " ولا أظن أن " **لوريمر** " كانت لديه دراية كافية بالموقف ... وإنني ميال إلى الاقتناع بان السيدة "**كاربنتر** " هي الطرف الجاني .. فقد أقامت مع الأسرة مدة طويلة وكانت تعرف كل شيء عن حالة السيد " **أمبروز**" الصحية وكان في إمكانها أن تدبر الأمور بسهولة ، حيث تقتطف " **سيلفيا** " تلك الأوراق من الحديقة وقد فهمنا أنها كانت أقرب إلى الغباء . أما دافعها إلى

القتل ، فاعترف بانني لم أفكر فيه .. ولكن ربما كان السيد " **أمبروز** " قد أعد وصية أوصى لها فيها بشيء ، ثم غيرها .. هذا هو أقصى ما عندي من حل للقضية .

وعندما أشارت السيدة " **بانتري** " بإصبعها إلى الممثلة الحسناء " **جين هيلر** " ، راحت هذه تقول :

– لا أعرف ماذا أقول .. لماذا لا تكون الفتاة " **سيلفيا** " نفسها هي الفاعلة ؟ فهي التي أخذت أوراق النبات إلى المطبخ وقد سمعنا أن السيد " **أمبروز** " كان يمانع في زواجها، فإذا توفي نالت نصيبها من الميراث وكان لها أن تتزوج في الحال بدون عقبة وكانت تعرف حالة السيد " **أمبروز** " الصحية مثل السيدة " **كاربنتر** " تماما وعندئذ استقر إصبع السيدة "**بانتري**" عند " **ماربل** " ببطء قائلة – تكلمي يا أستاذة الجيل .

فاخذت الآنسة " **ماربل** " تقول :

– إن السيد " **هنري** " والدكتور " **لويد** " قد شرحا القضية شرحا وافيا في الواقع وكان الدكتور " **لويد** " مصيبا جداً فيما قاله .. إن الاثنين بحثا الموقف بما فيه الكفاية .. ولكنني لا أظن أن الدكتور " **لويد** " قدر تماما نقطة واحدة فيما ذكره وهذه النقطة متعلقة بنوع المرض القلبي الذي كان يشكوه السيد " **أمبروز** " .. فهل كان بوسعه وهو لم يكن طبيبه الخاص ، أن يحدد نوع هذا المرض القلبي ؟

فقال الدكتور " **لويد** " :

– لست أفهم قصدك تماما يا آنسة " **ماربل** " !

– إنك افترضت أن السيد " **أمبروز** " كان مصابا بنوع من أمراض القلب يؤثر فيه " **الديجيتالين** " تاثيرا ضارا أليس كذلك ؟ ولكن ربما كان التاثير نقيض ذلك.

– نقيض ذلك ؟

– نعم . فقد قلت إن عقار "الديجيتالين " كثيرا ما يوصف في حالات اضطرابات القلب .

– وحتى على فرض ذلك يا آنسة " **ماربل** " فإنني لم أفهم بعد إلى أين ينتهي بنا

هذا الكلام .

– معناه أن عقار " **الديجيتالين** " كان في حياة السيد " **أمبروز** " بصورة طبيعية دون أن يسأله أحد عن سبب وجوده .. إن ما أحاول أن أقوله هو هذا، وإن كان يؤسفني أنني لا أحسن التعبير . لنفترض ، أنك أردت أن تسمم أي شخص بجرعة مميتة من " **الديجيتالين** " ؟ ألا تكون أبسط وأسرع طريقة هي أن تعمل على تسميم الجميع، بواسطة الأوراق النباتية لـ " الديجيتالين " إنه لن يترتب على ذلك خطر مميت لأي شخص آخر بالتأكيد؛ لأن النتائج ليست مؤكدة كما قال الدكتور " **لويد** " . و في هذه الحالة لن يسأل أحد هل كانت الفتاة الضحية قد تناولت بالفعل جرعة مميتة من خلاصة " **الديجيتالين** " أو شيئا من هذا القبيل ؟ ربما يكون قد دسها في كأس شراب أو قدح قهوة ، أو دعاها إلى شربه ، باعتباره دواء مقويا؟!

– هل تقصدين أن السيد " **أمبروز** " سمم ربيبته الحسناء التي كان يحبها ؟

فأجابت الآنسة " **ماربل** " :

– هو هذا بالضبط ... مثلما حدث في حالة السيد " **بادجر** " ومشرفة بيته الشابة .. لا تقولوا لي إنه من السخف أن يقع رجل في الستين في حب فتاة في العشرين . إن هذا يحدث مثله كل يوم وبوسعي أن أقول إن شيئا كهذا في حالة رجل مثل السيد " **أمبروز** " الأرستقراطي المهذب يمكن أن يحدث بصورة مضاعفة.. إن هذه الحالات تتحول إلى لون من الجنون والهوس في الواقع . إنه لم يطق فكرة زواجها .. وقد بذل كل جهده لمنع هذا الزواج ... ثم فشل فاشتدت به الغيرة إلى حد أنه فضل قتل " **سيلفيا** " ولابد أنه فكر في ذلك قبلها بمدة ، فعمل على غرس بذور نبات " كف الثعلب " السام بين نبات " **الكزبرة** " المستخدم للتوابل .. وهو في هذه الحالة يكون قد حرص على اقتطاف أوراق " كف الثعلب " بنفسه عندما جاءت المناسبة . ودبر أن تحملها الفتاة إلى المطبخ بنفسها .. إن عملا كهذا شيء فظيع ، ولكن الرجال في هذه السن يقدمون على أفعال غريبة إذا كانت المسألة متعلقة بفتاة في ربيع العمر.

وعندئذ قال السيد " **هنري** " :

– هل هذه هي الحقيقة يا سيدة " **بانتري** " ؟

– نعم .. والحقيقة أنني لم أكن أتصور المسألة مجرد حادث يتعلق بالقضاء والقدر ، ولكني بعد وفاة السيد " **أمبروز** " تلقيت رسالة كان قد أوصى بإرسالها إليّ ... وفي هذه الرسالة اعترف لي بالحقيقة .. ولست أدري لماذا اختارني دون غيري لهذا الغرض ، ولكن ربما لأن العلاقات بيننا كانت دائما طيبة .

وخيم صمت ثقيل شعرت فيه السيدة " **بانتري** " وكأنها عرضة للانتقاد ، فأسرعت تقول :

– أنتم تظنون أنني خنت واجب الأمانة والثقة .. ؟ ولكن ليس الأمر هكذا... إنني غيرت أسماء أبطال المأساة ... وأصبحت كما يقولون في المجلات ومقدمات الكتب : " جميع الشخصيات في القصة من نسج الخيال " ولذلك لن تعرفوا الشخصيات الحقيقية بحال !

- 9 -

جريمة شهر العسل

قالت " **جين هيلر** " الممثلة الفاتنة وهي تبتسم تلك الابتسامة الأخاذة التي طالما استحوذت على المشاعر في مسارح " **لندن** " :

– حدثت هذه القصة الغريبة لصديقة لي هي ممثلة شهيرة في " **لندن** " ..فقد كانت تطوف بالأقاليم في رحلة فنية ... وبينما كانت في إحدى هذه الرحلات إذ استدعاها البوليس ذات يوم ، وكان الاستدعاء خاصا بسرقة وقعت في فيللا مجاورة للشاطئ ، قبض فيها على شاب روى للبوليس قصة غريبة وهكذا استدعوها .

وبعد أن تبين البوليس أن هناك التباسا اعتذروا لها ، وإن عرضوا عليها رغم ذلك أن تتعرّف الشاب المقبوض عليه ، فلم تمتنع.

كان شابا وسيما أحمر الشعر . وقد فغر فاه عند رؤيتي ... أوه أعني عند رؤية صديقتي الممثلة !

وتوقفت " **جين هيلر** " برهة وقد تورد خداها ، فقد كانت زلة اللسان دليلا على انها هي بطلة القصة وإن كان أعضاء الندوة لم يفهموا هذا من أول الامر ، وبعد أن زال عنها الخجل والارتباك مضت تروي ما حدث لها بعد مواجهتها بالشاب ، قائلة :

– كان هذا الشاب يدعى " **لزلي فوكنر** " ، وكان قد كتب مسرحيات كثيرة لم تقبل واحدة منها ، وقال إنه أرسل إليّ مسرحية جديدة ، وطلب مني قراءتها . والواقع أنني لم أعرف بامر هذه المسرحية ، إذ إنني اتلقى مسرحيات كثيرة ، ولكنني لا اقرأ منها إلا القليل . . . .

والظاهر أن السيد " **فوكنر** " تلقى رسالة مني – وإن تبين أن الرسالة لم تكن مني في الحقيقة – جاء فيها انني قرات المسرحية واعجبت بها وانني اود ان يقابلني للمناقشة في موضوعها ، على ان يكون حضوره إليّ في فيللا " **رينبيري** " . . وهكذا كان سرور " **فوكنر** " لا حد له . وعند حضوره إلى الفيللا استقبلته الوصيفة ، ولما سالها هل الآنسة " **جين هيلر** " موجودة ؟ ردت بالإيجاب وقالت إنها تنتظر حضوره وادخلته إلى غرفة الجلوس ، وبعد قليل ظهرت له امراة قدر انها انا بالتاكيد إذ كانت تشبهني في الطول ولون الشعر وزرقة العينين .

وجلس مع المراة التي استقبلته مرحبة ، وقالت إنها اعجبت بالمسرحية وتود ان تمثلها . . . وفي أثناء الحديث جيء بالشراب وتناول السيد " **فوكنر** " كاسا كالمعتاد . . . وبعد ذلك لم يتذكر شيئا .

وعندما استيقظ ، او افاق ، وجد نفسه ملقى على جانب الطريق في حالة إعياء شديد . . وقد قال الشاب بعد ذلك إنه لو كان متمالكا حواسه وقتها لعاد إلى الفيللا لمعرفة حقيقة ما حدث ، ولكنه كان ضعيف الوعي ، وسار متخبطا لا يعي ما حوله إلى أن قبض عليه البوليس بتهمة سرقة الفيللا . وهذه الفيللا ليست لي بالتاكيد بل لرجل غني من " **لندن** " استاجرها لسيدة ، والسيدة زوجة ممثل معروف، وكانت هي نفسها ممثلة ، وأرجوكم إعفائي من ذكر الأسماء .

وتورد وجه " **جين هيلر** " مرة ثانية . . فسارع السيد " **هنري** " مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق لنجدتها قائلا وهو يضحك ضحكة العارف الخبير :

– إذن سوف تسمي الرجل الفني باسم السيد " **هيرمان كوجان** " ، والممثل باسم " **كلود ليسون** " ، والممثلة باسم "**ماري كير** " . .ما رأيك يا عزيزتي ؟

فاجابت "**جين هيلر**" باسمة :

– أنت بارع جداً في اختيار الأسماء . . لا باس وأعود إلى القصة فاقول إن هذه الفيللا كانت معدة لكي يقضي فيها السيد " **هيرمان** " عطلة نهاية الأسبوع في صحبة المرأة . . وبالتاكيد لم تكن زوجته تعرف هذا .

وكان السيد " **هيرمان** " قد أهدى المرأة مجموعة من الحلي الثمين من بينها أحجار زمرد نادرة . . و كانت الجواهر محفوظة في علبة موضوعة في الفيللا .

وقد تلقى البوليس مكالمة تليفونية من سيدة قالت إنها الآنسة " **ماري كير**" ، وأخبرت البوليس بأن سرقة وقعت في الفيللا ، ووصفت لهم شابا أحمر الشعر زار الفيللا في الصباح وقالت إن وصيفتها ارتابت في أمر الشاب ولم تسمح له بالدخول، وبعد فترة شاهدته يخرج عن طريق إحدى نوافذ الفيللا . . وكانت الأوصاف التي ذكرتها عن الشاب دقيقة إلى حد أن البوليس ضبطه بعد ساعة واحدة . . . وعندئذ حكى لهم الشاب قصته وأطلعهم على الخطاب الذي زعم انني أرسلته . . . وهكذا استدعاني البوليس ، وعندما رآني الشاب قال ما ذكرته لهم ، وهو أنني لست السيدة التي استقبلته في الفيللا . .

فقال الدكتور " **لويد** " :

– قصة غريبة في الواقع . . هل كان السيد " **فوكنر** " يعرف الآنسة " **كير** " هذه؟

– لا . . . لم يكن يعرفها . . . لكنني لم أخبركم بعد باغرب جانب في القصة . . فقد ذهب البوليس إلى الفيللا بالتاكيد ووجد كل شيء كما وصفته المحادثة التليفونية :

الأدراج مفتوحة والجواهر مفقودة ، ولكن الفيللا كلها خالية من أي شخص. وقد

مضت ساعات قبل عودة " **ماري كير** " ، التي قررت للبوليس أنها لم تتصل به تليفونيا بأي حال و أن هذه هي أول مرة تسمع فيها بذلك .. والظاهر أنها تلقت برقية في صباح ذلك اليوم من مدير أحد المسارح يعرض عليها دورا مهما ويحدد لها موعدا ، وهكذا سارعت بالذهاب إلى "**لندن**" لإتمام المقابلة في الموعد المحدد .. وعندما وصلت وجدت أن المسألة كانت خدعة ، وأنه لم ترسل إليها أية برقية !

فعقب السيد " **هنري** " مدير البوليس السابق قائلا :

– حيلة معروفة لاستدراجها بعيدا عن الفيللا .. وماذا عن الخدم ؟!

– حدث نفس الشيء بالنسبة إلى الوصيفة الموجودة في الفيللا .. فقد تلقت مكالمة تليفونية من الآنسة " **كير** " في الظاهر – طلبت فيها منها موافاتها بحقيبة يد معينة في غرفة نومها على أن تستقل أول قطار إلى "**لندن**" . وقد فعلت الوصيفة ذلك وأغلقت الفيللا ، ولكنها عندما وصلت إلى النادي الذي حددته لها الآنسة "**كير**" في المكالمة التليفونية طال انتظارها دون جدوى .

فقال السيد " **هنري** " :

– بدأنا نفهم .. هكذا تركت الفيلا خالية ، وكان الدخول إليها من إحدى النوافذ مسألة سهلة .. لكنني لا أرى حتى الآن أين مكان السيد "**فوكنر**" الشاب في هذا ؟ ومن الذي اتصل بالبوليس تليفونيا إذا لم يكن الآنسة "**كير**" ؟

– هذا ما لم يوفق أحد إلى معرفته .

فقال السيد " **هنري** " :

– غريب .. وهل ما قاله الشاب عن نفسه صحيح ؟

– نعم ... إن هذه الناحية من القضية سليمة .. فقد تلقى بالفعل الرسالة المنسوبة إليّ ولم تكن مشابهة لخطي بأي حال ، ولكنه بالتأكيد لم يكن يعرف.

فقال السيد "**هنري**" :

– لنلخص الموقف إذن بوضوح ... السيدة والوصيفة تستدرجان بعيدا عن الفيللا .. وشاب يستدعى إليها برسالة مزورة ، ولكن تأكيدا لها فإنك كنت في

ذلك الأسبوع في "**ريفربيري**" لتمثيل إحدى مسرحياتك .. ثم يجري تخدير الشاب ، ويستدعى البوليس وتوجه شبهاته إلى الشاب ذاته ، وقد حدثت سرقة واقعية في الفيللا اختفت فيها الجواهر .. ألم يعثر عليها بعد ؟

– أبدا .. والواقع أن السيد "**هيرمان**" حاول جهده التستر على الحادث وكتمانه، لكنه لم يوفق ، وأعتقد أن زوجته شرعت في إجراءات الطلاق منه بعد هذه الفضيحة .

– وماذا تم بشأن السيد "**فوكنر**" ؟

– لقد أطلق البوليس سراحه في النهاية إذ لم يجدوا ضده أدلة كافية .. ألا ترون معي أن القصة في غاية الغرابة ؟

ساد الصمت والتأمل برهة بين الضيوف .. وأخيرا قال الدكتور "**لويد**" :

– القضية في غاية الغرابة بالفعل ... لكن إذا سلمنا بأن قصة الشاب حقيقية فلماذا عمدت تلك المرأة المجهولة التي انتحلت شخصية الآنسة "**جين هيلر**" إلى استدراج هذا الشاب المجهول وتوريطه في القضية ؟

ما الذي يدعوها إلى افتعال هذه الكوميديا المدبرة ؟

فتولت السيدة "**بانتري**" الرد قائلة :

– قولي لي أولا يا "**جين**" .. هل حدثت في أي وقت مواجهة بين الشاب "**فوكنر**" و "**ماري كير**" ؟

فقطبت "**جين**" بين حاجبيها مفكرة برهة ، ثم أجابت :

– لا أعرف هذا تماما :

فراحت "**بانتري**" تقول :

– لأنه إذا لم تكن هذه المواجهة قد حدثت ، فإن حل القضية سهل ميسور بل إنني متأكدة أن نظريتي صحيحة فإنه ليس أسهل من الادعاء بطلب الحضور إلى "**لندن**" ... من السهل على سيدة الفيللا الاتصال تليفونيا من أية محطة سكة حديد بالوصيفة وعند تنفيذ الوصيفة للطلب تعود صاحبة الفيللا إليها ، حيث يحضر الشاب بناء على موعد ، ويدس له المخدر ويرتب حدوث السرقة ، ثم يبلغ

البوليس تليفونيا ، مع ذكر أوصاف السارق كيش الفداء ، وعلى أثر المكالمة تعود صاحبة الفيللا إلى "لندن" مرة ثانية وبعد ذلك تكون العودة إلى الضاحية في أول قطار ، وتمثيل دور السيدة البريئة التي انتظرتها مفاجأة السرقة .

– لكن لماذا تسرق هي شخصيا جواهرها ؟ فأجابت السيدة "بانتري" :

– كلهن يفعلن ذلك . ربما طلبت مالاً عاجلا من السيد "هيرمان" ورفض ، فدبرت حادثة سرقة الجواهر على أن تبيعها فيما بعد .. أو ربما كانت تواجه عملية ابتزاز مال من شخص هدد بإبلاغ زوجها أو زوجة السيد "هيرمان" عن العلاقة بينهما ... بل أستطيع إذا شئتم أن أذكر لكم عشرات الأسباب التي يمكن أن تلجأ فيها المرأة إلى ذلك .. والمهم أنها تضرب عصفورين بحجر واحد تسرق الجواهر ، ثم تنال مجموعة أخرى من السيد "هيرمان" تعويضا عن الجواهر الضائعة .

فقال العميد "بانتري" :

– هذه براعة منك في الاستنتاج يا "دوللي" .. أما أنا فاشك في مستأجر الفيللا ذاته ، السيد "هيرمان" إذ من السهل أن يرسل البرقية لاستدراج السيدة بعيدا ، ثم يقوم ببقية المهمة بدون صعوبة بمساعدة صديقة جديدة .

فالتفتت "جين هيلر" إلى الآنسة "ماربل" وكانت صامتة مقطبة وقالت لها :

– لا أدري في الواقع ماذا أقول، وإن كانت هناك احتمالات متعددة تطرح نفسها للفكر .. مسألة الوصيفة مثلا .. فإن فيللا مثل هذه لا يمكن أن تعمل فيها فتاة مستقيمة ولنا إذن أن نفترض أن هذه الوصيفة لم تكن من النوع الأمين ونتيجة لذلك لا يبعد أنها كانت متحالفة مع اللصوص ، فتركت لهم الفيللا مفتوحة وذهبت إلى "لندن" منتحلة حكاية المكالمة التليفونية لدفع الشبهة ... ومع ذلك فإن الملابسات تشعر بأن الحادث لم يكن حادث لصوص عاديين .

وتوقفت الآنسة "ماربل" برهة ، ثم استطردت تقول بلهجة الحالمة :

– أكاد أشعر بأنه حادث فيه جانب كبير من الطابع الشخصي .. ماذا لو تصورنا

أن الحادث وليد حزازات شخصية ؟ كان تكون هناك ممثلة لم يعاملها الشاب معاملة لائقة فدبرت هذا الحادث للإيقاع به ؟ هذا ما يبدو لي في الوقت الحاضر ، وإن لم تكن النتيجة مرضية في نظري تماما .

فالتفتت "جين" إلى الدكتور "لويد" قائلة :

– وأنت يا دكتور .. ما رأيك ؟

فأجاب الدكتور "لويد" بعد تأمل :

– عندي نظرية تقول بأن الزوجة ربما كانت وراء هذا الحادث .. أعني زوجة السيد "هيرمان" .. وإذا كنت لا أستطيع أن أبين بالتفصيل الأسباب التي أستند إليها في هذه الفكرة ، إلا أنكم تقدرون ما يمكن أن تندفع إليه الزوجة المخدوعة في مثل هذه الحالات .

وهنا هتفت الآنسة "ماربل" بانفعال :

– مرحى يا دكتور "لويد" .. هذه براعة منك في الاستنتاج .

فقال السيد "هنري" وقد لمعت عيناه :

– معنى هذا أنك تؤيدين هذه النظرية يا آنسة "ماربل" ؟

ولكن الآنسة "ماربل" هزت رأسها قائلة :

– لا .. ولابد لي أن أعترف بأنني في حيرة من أمري في هذه القضية .. وكل ما يمكنني أن أقوله الآن هو أن النساء لابد لهن من التكاتف معا ومساندة بعضهن البعض، وهذا هو المغزى الذي يمكن أن يستخلصه الإنسان من قصة الآنسة "هيلر" .

فقال السيد "هنري" برصانة :

– أعترف بأن هذا الجانب الأدبي في القضية قد فاتني .. وربما أعرف المقصود منه عندما تكشف لنا الآنسة "هيلر" سر القضية .. إنني أعلن عجزنا جميعا عن تقديم الحل المنشود ، بعد أن أعلنت الآنسة "ماربل" عجزها .

فقالت "جين هيلر" ساهمة :

– أنتم إذن تعترفون بعجزكم .. هذا شيء طريف جداً .

ومالت الممثلة الفاتنة في مقعدها إلى الخلف وراحت تصقل أظفارها وهي شاردة الفكر ..

فقالت لها السيدة "**بانتري**" :

– تكلمي يا "**جين**" إذن .... قولي لنا الآن ما حل هذه القضية الغامضة التي أعجزتنا جميعا ..

فحدقت إليها "**جين**" قائلة :

– الحل ؟ .... ليست عندي أدنى فكرة .

– ماذا تقولين ؟

– كنت دائما أعتقد أنكم جميعا عباقرة في التفكير والاستنتاج ، وأن أحدكم لابد أن يتمكن من عرض الحل المطلوب .

في هذه المرة تضايق الجميع ، وقد عبر السيد "**هنري**" عن شعورهم قائلا :

– تعنين أن لغز القضية لم يكتشف بعد ؟

فأجابت "**جين هيلر**" :

– نعم .. وهذا هو السبب في أنه خطر لي أن أحدكم ربما أمكنه أن يوفق إلى حل اللغز .

فقالت السيدة "**بانتري**" :

– أنت فتاة عنيدة يا "**جين**" .. على كل حال أنا واثقة بأن نظريتي هي الصحيحة .. وإذا أمكنك أن تذكري لنا الأسماء الحقيقية لأبطال القصة ، استطعت أن أزيد نظريتي تأكيدا .

ولكن "**جين**" هزت رأسها ، فخفت الآنسة "**ماربل**" إلى نجدتها قائلة :

– لا يا عزيزتي .. إن الآنسة "**جين**" لايمكن أن تفعل شيئا كهذا .. لابد يا عزيزتي "**جين**" أن القصة أحزنتك جداً ؟

فأجابت بلهجة الصدق :

– أبداً .. أظن أنها أمتعتني في الواقع .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– لا بأس .. لابد أن أعود الآن إلى البيت ، فإن الوقت متأخر لكننا أمضينا سهرة ممتعة ... وأظن أن قصة الآنسة "**هيلر**" تستحق الجائزة لغموضها على هذه الصورة غير العادية .. الا تتفقين معي ؟

فأجابت "**جين هيلر**" :

– إنني آسفة لأنني أتعبتكم .. أقصد لجهلي بنهاية القضية .

وخف الدكتور "**لويد**" إلى مساعدة الآنسة "**ماربل**" في ارتداء معطفها وتوصيلها إلى مسكنها .. وحيتهم الآنسة "**ماربل**" متمنية لكل منهم نوما هنيئا .. ثم اقتربت من "**جين هيلر**" ومالت نحوها وهمست في أذنها كلاما فلم تتمالك الممثلة الحسناء نفسها من أن تنتفض قائلة :

– أوه .. مما دفع الجميع إلى الالتفات نحوها .

ولم تلبث الآنسة "**ماربل**" ، أن أومأت برأسها باسمة ، ثم انصرفت في النهاية وخرجت "**هيلر**" في أثرها .

وقالت لها السيدة "**بانتري**" :

– هل تذهبين إلى فراشك يا "**جين**" ؟ ماذا جرى لك ؟ أراك تطيلين النظر ، وكأنك رأيت شبحا .

فأفاقت "**جين**" لنفسها ثم حيت الرجلين الباقيين بابتسامتها الجذابة ، وتبعت مضيفتها إلى الدور العلوي حيث رافقتها السيدة "**بانتري**" إلى غرفة نومها . وجلست "**جين**" على حافة الفراش ساهمة ، ثم قالت :

– هل تظنين أن هناك أناسا كثيرين مثل هذه العجوز الآنسة "**ماربل**" إنني لا أدري في الواقع ماذا أفعل .

وتنهدت عميقا .. فسألتها السيدة "**بانتري**" :

– ماذا أصابك يا "**جين**" ؟

– إنني قلقة مشغولة البال .

– بشأن أي شيء ؟

فأجابت "**جين هيلر**" برصانة :

- "دوللي" ... هل تعرفين ما همست به تلك السيدة العجوز الغريبة في أذني قبل انصرافها الآن ؟

- لا .. ماذا قالت ؟

- قالت لي : "لو كنت مكانك يا عزيزتي لما فعلت شيئا كهذا ... لا تضعي نفسك بأي حال تحت رحمة امرأة أخرى ، حتى ولو تصورت وقتئذ أنها صديقتك . هل تعرفين يا "دوللي" أن ما قالته هذه العجوز صحيح إلى أبعد حد؟

- ربما كانت الحكمة في ذاتها صادقة .. لكنني لا أدرك كيف كان تطبيقها عمليا .

- أظن أنه لايمكن بالفعل الثقة بامرأة .. لأنني عندئذ سأكون تحت رحمتها .. وهذه مسألة فاتني التفكير فيها .

- عن أي امرأة تتكلمين ؟

- "نيتا جرين" .. ممثلة الدور الثاني معي .

- وما الذي تعرفه الآنسة "ماربل" عن ممثلتك المساعدة ؟

- أعتقد أنها فطنت إلى الحقيقة ، وإن كنت لا أدري كيف فعلت هذا ؟

- "جين" .. هلا كاشفتني بما ترمين إليه من وراء هذا الكلام ؟

- أعني القصة التي حكيتها لكم .. أوه يا "دوللي" إنها خاصة بتلك المرأة .. المرأة التي اختطفت "كاود" مني .

أومأت السيدة "بانتري" برأسها وقد عادت بها الذاكرة سريعا إلى زواج "جين" الفاشل بـ "كلود إيفربيري" ، الممثل .

واستطردت "جين" تقول :

- إنه تزوجها وكان بوسعي أن أقول له كيف سيكون هذا الزواج .. إن "كلود" لايعرف أنها على علاقة غرامية مع السيد "جوزيف سالمون" ، وأنهما يقضيان عطلات نهاية الأسبوع في الفيللا التي حدثتكم عنها .. إنني أردت أن أفضحها أردت أن يعرف كل إنسان من أي طينة خلقت هذه المرأة .. ووقوع مثل هذه

السرقة ، لابد أن يكشف العلاقة ، ويفضح كل شيء .

فلم تتمالك السيدة "بانتري" نفسها من أن تشهق قائلة :

- "جين" .. هل دبرت أحداث هذه القصة التي سردتها علينا ؟

فأومأت "جين" إيجابا قائلة :

- ومن أجل هذا اخترت مسرحية "سميث" التي أقوم فيها بدور الوصيفة كما تعرفين . اخترتها لكي أتمرن على الدور ، ولكي يكون زي الوصيفة جاهزا عندي. وفي الفيللا يمكن أن أفتح الباب للقادم وأقدم إليه الشراب ، في حين تدعي مساعدتي "نيتا" أنها السيدة ولن يراها الشاب بعد ذلك بالتأكيد . وهكذا لن يكون هناك أي خوف من تعرفها .. ثم دبرنا أنا و"نيتا" حمله إلى الطريق بعد أن فقد الوعي وليس أيسر بعد ذلك من أن نسلب علبة الجواهر ، ونتصل بالبوليس تليفونيا ، ثم نعود إلى الفندق ، وهكذا ينشر الحادث في الصحف ، ويعرف "كلود" حقيقة المرأة التي تزوجها .

جلست السيدة "بانتري" على حافة الفراش وهي تضرب كفاً بكف قائلة :

- كل هذا وأنت تحكين لنا قصة مختلقة .. يا لك من مخادعة يا "جين" !!

فقالت "جين هيلر" بهدوء :

- إني ممثلة قديرة كما تعرفين ويعرف الناس كلهم . لا أظن أن سري قد افتضح أمامكم جميعا .

فغمغمت السيدة "بانتري" قائلة :

- إلا الآنسة "ماربل" التي قالت إنها تشتم الطابع الشخصي .. لكن هل تقدرين أيتها الطفلة أن السرقة هي السرقة .

فأجابت "جين" :

- على كل حال لم يهتد أحدكم إلى الحقيقية إلا الآنسة "ماربل" .. هل تظنين أن هناك كثيرين مثلها ؟

فأجابت السيدة "بانتري" :

- بصراحة ، لا أظن .

فتنهدت "**جين**" قائلة :

– ومع ذلك فمن الأفضل ألا يعرض الإنسان نفسه للمخاطر .. فإنني سأكون تحت رحمة "**نيتا**" بالتأكيد .. لأنها قد تنقلب علي أو تهددني لابتزاز المال ، أو أي شيء من هذا القبيل .. إنها حقيقة ساعدتني في تدبير تفاصيل المكيدة وعاهدتني على الإخلاص والكتمان لكن الإنسان لا يستطيع أن يطمئن إلى ثبات المرأة ...نعم أظن أن الآنسة "**ماربل**" على حق .. والأفضل ألا أخاطر بهذه العملية .

– لكنك يا عزيزتي خاطرت بالفعل .

ففتحت "**جين**" عينيها الزرقاوين على سعتهما قائلة :

– أوه ... لا .. ألم تفهمي بعد ؟ إن هذه القصة لم تحدث بعد ... إنني كنت أجربها فقط ..

فقالت السيدة "**بانتري**" ممتعضة :

– هل تعنين أنه مشروع قصة مستقبل ، لا قصة وقعت بالفعل ؟

– كان في نيتي أن أنفذها في أيلول (سبتمبر) القادم .. ولا أدري الآن ماذا أفعل .

فقالت السيدة "**بانتري**" بلهجة الحنق :

– وقد استطاعت الآنسة "**ماربل**" أن تخمن الحقيقة ، ولم تخبرنا بها .

– أظن أنها لهذا السبب قالت ما قالته عن وجوب تكاتف النساء بعضهن مع بعض .. إنها لم تشأ أن تفضحني أمام الرجال من الضيوف وهذا كرم منها في الواقع .

فقالت السيدة "**بانتري**" :

– لا بأس يا "**جين**" .. لابد أن تنفضي يديك من عملية كهذه بصفة نهائية .

فغمغمت الآنسة "**هيلر**" قائلة :

– سأعمل بنصيحتك يا عزيزتي .. فإن الآنسة "**ماربل**" ستكون لي بعد الآن بالمرصاد .

- 10 -

فاجعة في المصحة

ألح السيد "**هنري**" مدير بوليس "**اسكتلانديارد**" السابق على الآنسة "**ماربل**" أن تكون هي صاحبة القصة الغامضة هذه السهرة ، وأيده بقية أعضاء الندوة ..

فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تتنهد امتثالا :

– لا بأس ، لقد تذكرت الآن حادثا ، بل فاجعة ، قدر لي أن أكون طرفا فيها . وربما تجدون حديثي عنها غير منمق ولا مسلسل؛ لأنني أشط أحيانا في السرد والسياق ، ولهذا أرجو المعذرة سلفا .

كان مسرح الفاجعة في مصحة "**كيستون**" للمياه المعدنية وهناك التقيت مع الزوجين الشابين "**ساندرز**" و"**جلاديس**" . وكان الشاب وسيما مرحا إلى أبعد الحدود ولم يكن هناك من هو أشد منه تفانيا في حب زوجته ، ولكنني شعرت من أول نظرة أنه ينوي التخلص منها .

فقال السيد "**هنري**" وقد مال إلى الأمام باهتمام :

– وعلى أي أساس بنيت هذا التقدير ؟

– على مجرد الإحساس الغريزي الذي لا يخطئ .. سمه الخبرة .. سمه المعرفة .. سمه ما شئت .. لكنه هكذا كان الشأن معي دائما .

أذكر في هذه المناسبة حكاية سيدة أعرفها كانت تزمع السفر إلى "**سويسرا**" مع زوجها لتسلق الجبال .. وقد حذرتها من مغبة رحلة كهذه ، ولكنها لم تستمع إلي .. وكانت النتيجة سقوطها ووفاتها ، واقتران زوجها بامرأة أخرى .

وأمثال هذه الحوادث ، يعرفها الإنسان بالإحساس ولكن لا يمكن إقامة الدليل المادي عليها .

وفي قصة "**ساندرز**" وزوجته تصادف أن ركبنا ثلاثتنا الترام المؤلف من طابقين ، وعند محطة النزول نهضنا معا ، وفجأة اختل توازن السيد "**ساندرز**" وسقط بكل ثقله على زوجته وكان من أثر ذلك أن أرسلها تهوي إلى الطابق الأرضي ، ولولا أن

السائق كان قوي البنية وتلقفها لكانت نهايتها في هذه السقطة .

– لكن مما لا شك فيه أن هذا مجرد حادث .

– بالتأكيد هو حادث . فليس هناك ما يجعله أكثر من حادث عرضي .. لكن إذا عرفتم أن السيد "**ساندرز**" كان يعمل في البواخر التجارية ويمكنه الاحتفاظ بتوازنه وأنه ليس هو الذي يفقد التوازن على سطح ترام علوي إذا استطاعت عجوز مثلي أن تحتفظ بتوازنها لها فلا تجادلوا أيها الأصدقاء في قيمة الإحساس و الغريزة .

فقال السيد "**هنري**" :

– سنسلم لك يا آنسة "**ماربل**" بأنك كونت رأيك في طبيعة السيد "**ساندرز**" ونياته حيال زوجته من أول نظرة .

– وماذا بعد ؟

– ما الذي كنت أستطيع أن أفعله في هذه الظروف للحيلولة دون قتل الزوجة ؟ لم يكن بوسعي الالتجاء إلى البوليس بغير أدلة مادية ولم يكن ثمة فائدة من تحذير الزوجة؛ لأن "**جلاديس**" كانت مفتونة بزوجها ...

وهكذا لم يكن أمامي سوى أن أجمع عنهما كل ما يمكن من المعلومات ...

وفي جلساتنا المشتركة للسمر في الفندق عرفت من "**جلاديس**" التي كانت مولعة بالثرثرة أنهما تزوجا منذ عهد غير بعيد ، وأن زوجها كان ينتظر ميراثا قريبا وفي خلال ذلك كانت حالتهما المالية محدودة إذ كانا يعيشان على إيراد الزوجة القليل الناتج من رأس المال الأصلي الذي لم تكن تريد المساس به .. ولكنهما حررا مع عقد الزواج وصيتين إذ أوصى كل منهما بأن يؤول إلى الطرف الباقي على قيد الحياة كل ما يملكه الطرف الآخر بعد أن يرث "**ساندرز**" ميراثه المنتظر بالطبع ..

وفي انتظار هذا الأمل كانا يعيشان في ضيق ، حتى أنهما استأجرا غرفة في الطابق العلوي للفندق بين غرف الخدم ، مما يعرض حياتهما للخطر في حالة حدوث حريق ، وإن كان هناك سلم نجاة من الحرائق خارج نافذتهما مباشرة . وعندما عرفت

أن النافذة تطل على الشرفة حذرتها من الخروج إلى هذه الشرفة ، وقلت لها إنني رأيت حلما يبرر هذه النصيحة التي أسديتها إليها ..

وكانت الفتاة سريعة التصديق ، ولكن هذا لم يمنع من أن تنقل النصيحة إلى زوجها ، حتى إنني فاجأته وهو ينظر إلي فيما بعد نظرات غريبة ، خصوصا بعد أن تذكر أنني كنت معهما في الترام العلوي .

كنت في أشد القلق على حياة هذه الزوجة الساذجة المنكوبة دون أن أهتدي إلى وسيلة لإنقاذها من زوجها ، حتى فكرت أخيرا في خطة جريئة لاستدراجه وإيقاعه في الشرك ، وعندما يحاول الاعتداء على حياتها أكشف النقاب عنه ، وأفضح أمره أمام زوجته ، مهما تكن الصدمة التي أسببها لها .

فقال الدكتور "**لويد**" أحد أفراد الندوة :

– وما الخطة البارعة التي تفتق عنها تفكيرك يا آنسة "**ماربل**" ؟

فأجابت قائلة :

– إنني أعددت هذه الخطة بالفعل .. ولكن الرجل كان أدهى وأسرع مني ، إذ لم ينتظر وضرب ضربته . كان يعرف أنني أشك في احتمال وقوع حادث ، ولهذا جعلها "جريمة قتل" .

سرت شهقة يسيرة بين أعضاء الندوة فأطبقت الآنسة "**ماربل**" شفتيها بصرامة قائلة :

– يؤسفني أنني لم أعرض الصورة أمامكم بوضوح كاف ، ولذلك لابد أن أحكي لكم بالضبط ماحدث بالترتيب .. إنني في الواقع أشعر بمرارة شديدة كلما تذكرت هذه الظروف ، ويُخيَّل إليَّ أحيانا أنه كان يجب عليَّ أن أحول دون ما وقع .. ولكن يد القضاء كانت غالبة ولا حيلة أمامها .. وعلى أي حال فإنني فعلت كل ما أستطيع في كل خطوة .

كنا وقتها في الفترة التي تسبق عيد الميلاد بأربعة أيام ، وكنت جالسة في غرفة الجلوس في الفندق مع الآنسة "**ترولوب**" والسيدة "**كاربنتر**" العجوز نتجاذب أطراف الحديث في الظروف السيئة التي اقترنت بوفاة بواب المصحة ثم

وفاة إحدى الوصيفات بعد أيام معدودة : الأول نتيجة نزلة شعبية والتهاب رئوي حاد أودى بحياته ، والثانية بسبب خراج في الإصبع .. وإذا بالسيدة "**كاربنتر**" تقول بلهجة أقرب إلى النعيق : سجلي كلامي .. ليست هذه النهاية .. فالمثل يقول "لا اثنان بدون ثلاثة" .. إني وجدت صحة هذا المثل في مناسبات كثيرة .. ولذلك سوف تحدث وفاة ثالثة ولن يطول انتظارنا .. "لا اثنان بدون ثلاثة" .

وفيما هي تقول هذه الكلمات الأخيرة إذ رفعت رأسي فجأة عن إبرة التطريز ، فلاح لي السيد "**ساندرز**" واقفا في المدخل ، وكان منهمكا في التفكير إلى حد أنه لم يفطن إلى تلك النظرة المليئة بالغدر التي لاحت برهة في عينيه ..

على أنه لم يلبث أن تقدم إلى داخل الغرفة وهو يبتسم ابتسامته العذبة ، وقال لنا :

– إني ذاهب لشراء لوازم عيد الميلاد ، فهل من خدمة أؤديها يا سيدتي ؟ سأذهب إلى سوق "**كيستون**" حالا .

وتوقف دقائق يضحك ويتكلم ثم انصرف خارجا وفجأة تملكني القلق ، فقلت على الفور :

– أين السيدة "**ساندرز**" ؟

– إنها ذهبت إلى أسرة "**مورتيمر**" أصدقائها للعب الورق .. وإذا كان هذا قد أراح بالي مؤقتا إلا أنني لبثت قلقة لا أدري ماذا أفعل .

وبعد حوالي نصف الساعة صعدت إلى غرفتي .. ولكنني قابلت في طريقي على الدرج الدكتور "**كولز**" نازلا ، فطلبت منه أن يجيء معي إلى الغرفة لاستشارته في داء الروماتيزم الذي أعانيه .. وفي خلال هذه المقابلة أشار إلى وفاة الوصيفة "**ماري**" المسكينة ، وقال إن مدير الفندق لايريد انتشار الخبر ، ورجاني أن أراعي ذلك .. وبالتأكيد لم أقل للطبيب طيب القلب إن هذا الموضوع كان مدار الحديث على مدى ساعة كاملة منذ أن لفظت الفتاة المسكينة آخر أنفاسها؛ لأن مثل هذه الأمور لاتبقى طي الكتمان .. لكن الدكتور "**كولز**" كان يصدق كل شيء ، لهذا لم

يزعجني كلامه بقدر ما أزعجني ما قاله بعد ذلك ، فقد أخبرني وهو يتأهب للانصراف أن السيد "**ساندرز**" طلب منه أن يفحص زوجته؛ لأنها كانت تعاني في المدة الأخيرة اضطرابات في المعدة .

وكان مبعث انزعاجي هو أن "**جلاديس ساندرز**" نفسها ذكرت لي هذا اليوم بالذات أنها تتمتع بمعدة تهضم كل شيء وأنها تحمد الله على ذلك .

هكذا عادت إلي شكوكي في زوجها بصورة مضاعفة إن "**ساندرز**" يدبر شيئا ويمهد الطريق بهذا الكلام فما الذي يدبر ؟

وعندما خرجت من غرفتي بعد ذلك كان الذي قابلته هو "**ساندرز**" نفسه نازلا على درج السلم .. وكان مرتديا ملابس الخروج ، وقد سألني مرة أخرى إن كنت في حاجة إلى شراء شيء من البلدة .. فلم أجد إلا أن أرد على مجاملته بالشكر وذهبت من فوري إلى قاعة الجلوس وطلبت الشاي .. وكانت الساعة وقتها الخامسة والنصف بالضبط وهو ماأتذكره جيدا .

والآن يهمني جداً أن أسجل بدقة كل ما حدث بعد ذلك .. فقد كنت لاأزال في قاعة الجلوس في الساعة السابعة إلا الربع عندما جاء السيد "**ساندرز**" . وكان معه رجلان ، وبدا ثلاثتهم في حالة انتعاش من أثر الشراب وما لبث "**ساندرز**" أن ترك صديقيه وتقدم مني مباشرة حيث كنت جالسة مع الآنسة "**ترولوب**" ، وقال إنه يود أن يعرف رأينا في هدية عيد الميلاد التي يقدمها إلى زوجته ، وكانت حقيبة للسهرة .. وقد قال لنا :

– الحقيقة يا سيدتي أنني من رجال البحر ، ولا أعرف شيئا في هذه المسائل .. إنهم أرسلوا إلي ثلاث حقائب لأختار واحدة منها ، وأريد رأي أهل الخبرة .

وبالتأكيد أبدينا استعدادنا لتقديم هذه الخدمة الإنسانية، فرجانا أن نصعد معه إلى غرفته؛ لأن زوجته قد تعود من الخارج في أية لحظة إذا هو أحضر لنا الحقائب من الغرفة .

وهكذا صعدنا معه إلى غرفته .. ولن أنسى ما عشت ما حدث بعد ذلك .

لقد فتح السيد "**ساندرز**" باب غرفة النوم وأضاء النور ..

ولست أدري من منا شاهد ما شاهدناه قبل غيره .

كانت السيدة "**ساندرز**" ملقاة على الأرض على وجهها وهي ميتة .

أسرعت إليها قبل غيري ، وركعت إلى جانبها ، وتناولت يدها وتحسست النبض ولكن بلا فائدة ، فإن الذراع نفسها كانت باردة ومتيبسة .. وكان إلى جانب رأسها جورب مملوء بالرمل وهو الأداة التي تلقت بها الضربة القاضية .

ووقفت الآنسة "**ترولوب**" المسكينة تئن قرب الباب ممسكة برأسها أما "**ساندرز**" فقد أرسل صيحة مدوية ، وهو يردد : "زوجتي .... زوجتي" ثم اندفع نحوها .. فمنعته من لمسها إذ كنت متأكدة وقتها من أنه هو الفاعل ، وربما كان هناك شيء يريد أخذه أو إخفاءه .

– قلت له وقتها : يجب الا تلمس اي شيء يا سيد "**ساندرز**" ، اسمعي يا آنسة "**ترولوب**" .. انزلي واطلبي المدير .

ولزمت مكاني قرب الجثة .. فقد صممت الا أدع "**ساندرز**" وحده معها . ومع ذلك رأيتني مضطرة إلى الاعتراف بأنه لو كان هذا الرجل "يمثل" فإن تمثيله كان متقنا رائعا .. فقد بدا مشدوها، حائرا، مسلوب القلب والعقل معا.

وجاء المدير على الأثر.. وبعد أن فتش الغرفة على عجل أخرجنا جميعا، وأغلق الباب بالمفتاح، واحتفظ به معه.. ثم ذهب واتصل بمركز البوليس تليفونيًا، وخُيِّل إلينا انه مر دهر قبل وصول رجال البوليس، وقد علمنا فيما بعد أن الخط كان به عطل فاضطر المدير إلى إرسال مندوب إلى مركز البوليس..

وفي خلال ذلك صدعت الآنسة "**ترولوب**" رؤوسنا بنبوءتها المشؤومة عن: اثنين بدون ثلاثة، التي تحققت بمثل هذه السرعة.. أما "**ساندرز**" فقد سمعت أنه راح يتجول في الساحة الخارجية وهو ممسك برأسه، يئن ويتوجع، ويبدي كل مظاهر الحزن والتفجع.

وجاء رجال البوليس في النهاية.. وقد صعدوا إلى الغرفة مع المدير و"**ساندرز**".. ثم أرسلوا يستدعونني.. فصعدت إليهم، ورأيت مفتش البوليس جالسا إلى خوان بكتب، وكان رجلا بادي الذكاء، وقد ابتدرني بقوله:

– الآنسة "**جين ماربل**" ؟

–نعم..

–فهمت يا سيدتي أنك كنت حاضرة عندما اكتشفت جثة القتيلة.

فأجبت بالإيجاب، ووصفت له ما حدث.. وأحسب أن المفتش ارتاح لهدوئي وأسلوبي في الإجابة، بعد أن عانى الكثير في أثناء استجواب "**ساندرز**" والآنسة "**ترولوب**" التي كانت في حالة يرثى لها.

وعندما فرغت من بياناتي قال لي المفتش:

–شكرا لك يا سيدتي.. والآن أرجو منك أن تنظري إلى الجثة مرة ثانية.. هل وضعها هذا هو الوضع الذي كانت عليه عندما دخلت إلى الغرفة.. الم يحركها أحد باي طريقة؟

فشرحت له أنني منعت السيد "**ساندرز**" من ذلك، فأوما المفتش تقديرا قائلا:

–إن هذا السيد يبدو في حالة حزن شديد.

فرددت عليه بقولي:

–يبدو هكذا.. نعم.

فرمقني المفتش.. بنظرة حادة، ولكنه قال:

–إذن يمكننا أن نقرر أن الجثة الآن على الحالة التي كانت عليها عند اكتشافها.

فقلت له:

– نعم ما عدا القبعة.

فتطلع المفتش إلي بحدة قائلا:

–ماذا تقصدين بكلمة "القبعة" ؟

فقلت له إن القبعة كانت على رأس "**جلاديس**" التعسة في حين أنها الآن ملقاة إلى جانبها.. وكنت أظن بالتأكيد أن البوليس هو الذي فعل هذا. ولكن المفتش نفى ذلك نفيا قاطعا وقال إنه لم يجر حتى الآن لمس أو تحريك أي شيء.. ومالبث أن وقف وجعل ينظر إلى الجثة الممددة مقطبا مفكرا، وكانت "**جلاديس**" مرتدية ملابس الخروج أما القبعة فكانت ملقاة قرب الرأس.

وبعد أن طال وقوف المفتش في مكانه مقطبا مفكرا، قال لي وقد خطرت له فكرة:

-هل يمكنك يا سيدتي أن تتذكري: هل كان هناك قرط في الأذنين ؟ أم هل كانت القتيلة تضع قرطا في العادة؟

ومن حسن الحظ أنني دقيقة الملاحظة.. وقد تذكرت الآن أنني لمحت بريق لآلئ أسفل حافة القبعة. وإن كنت لم ألق بالا إلى هذا بصفة خاصة وقتها، ولما أجبت بالإيجاب على الشطر الأول للسؤال قال المفتش:

-إذن فإن هذا يحسم الأمر.. إن علبة جواهر السيدة تعرضت للسرقة، وإن فهمت أنها لم تكن تملك شيئا يعتد بقيمته، وقد سرقت الخواتم من أصابعها ولا بد أن القاتل نسي القرط فعاد لأخذه بعد اكتشاف الجريمة.. لا بد أنه مجرم ثابت الأعصاب أو ربما كان مختبئا هنا في الغرفة طول الوقت.

ولكنني نفيت هذه الفكرة، وقلت للمفتش إنني نظرت وقتها تحت الفراش، وفتح المدير دولاب الملابس.. ولا يوجد مكان غيرهما يمكن أن يختبئ فيه وكان مكان القبعات في الدولاب مغلقا، ولكن فراغه المحدود تشغله الرفوف، ولا يتسع للاختباء فيه.

فأومأ المفتش مؤمنا على كلامي قائلا:

- سآخذ بكلامك يا سيدتي.. وفي هذه الحالة لا بد-كما قلت- أن القاتل قد عاد إلى هنا.. إنه مجرم ثابت الأعصاب.

-لكن المدير أغلق الباب وأخذ المفتاح !

-ولو.. فهناك الشرفة وسلم الحريق.. وعن طريقهما جاء اللص.. من المؤكد أنكم فاجأتموه وهو يعمل، فانسل من النافذة، وعندما خرجتم عاد.

فقلت للمفتش:

-هل أنت متأكد من أنه حدثت سرقة؟

فأجاب بجفاء:

-حسنا. هذا ما يبدو، أليس كذلك؟

لكن شيئا في نبراته جعلني أرتاح.. فقد شعرت بأنه لا يأخذ دور "**ساندرز**" كزوج متوجع مأخذ الجد.

والحقيقة أنني كنت مقتنعة بأن ذلك الرجل "**ساندرز**" سعى إلى مصرع زوجته حتى أصبح هذا الاقتناع بمثابة الفكرة المتسلطة المستحوذة.

ومع ذلك، فإن ما يحدث في هذا العالم الغريب هو عكس ما يتوقع الإنسان ويحسب.

كنت واثقة بإدانته.. وأظن أن هذه الفكرة أعمت حواسي؛ ولذلك جاءت النتيجة بمثابة صدمة لي.. فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك، أن السيد "**ساندرز**" لا يمكن أن يكون هو مرتكب الجريمة.

وهنا شهقت السيدة "**بانتري**".. فابتسمت الآنسة "**ماربل**" واستطردت تقول:

-أعرف يا عزيزتي أن هذا ما لم تكونوا جميعا تتوقعونه عندما بدأت هذه القصة.. لكن الحقائق هي الحقائق.

وإذا ثبت للإنسان خطؤه فعليه الاعتراف بالحقيقة والمحاولة من جديد، والآن تريدون معرفة الحقائق التي أشرت إليها.. لقد أمضت السيدة "**ساندرز**" فترة بعد الظهر تلعب الورق عند أسرة "**مورتيمر**" وانصرفت من عندهم حوالي الساعة السادسة والربع، والمسافة من بيتهم إلى الفندق يقطعها السائر في حوالي ربع الساعة.. وإذن فلا بد أنها وصلت حوالي السادسة والنصف.. ولم يشهد أحد برؤيتها تدخل إلى الفندق، إذن فلا بد أنها دخلت من الباب الجانبي وصعدت مسرعة إلى غرفتها، وهناك غيرت ملابسها (فقد وجد التايير البني الذي ارتدته للخروج معلقا في الدولاب)، ويبدو أنها كانت تستعد للخروج مرة ثانية، عندما أصيبت بتلك الضربة القاتلة بكيس الرمل، وهو سلاح فعال ويتضح من هذا أن مهاجمها كان مختبئا في الغرفة، ويحتمل أنه كان في إحدى خانات دولاب الملابس الكبير التي لم تفتحها.

وفيما يختص بتحركات السيد "**ساندرز**" فإنه خرج كما قلت حوالي الساعة الخامسة والنصف أو بعد ذلك بقليل..

وبعد أن قام بشراء بعض المشتريات، خرج حوالي الساعة السادسة وقصد إلى فندق "العين الساخنة" حيث التقى مع صديقين له، وهما أنفسهما اللذان عاد بصحبتهما إلى فندقنا فيما بعد، وقد لعبوا البلياردو وشربوا بكثرة كما فهمت، وكانا بالفعل ملازمين له طوال الوقت منذ الساعة السادسة وما بعدها، وقد رافقاه إلى فندقنا ولم يتركهما إلا عندما جاءني وأنا جالسة مع السيدة "**ترلوب**" كما قلت لكم من قبل.. وكان ذلك حوالي الساعة السابعة إلا الربع – وهو الوقت الذي لا بد أن زوجته كانت فيه ميتة بالفعل وهناك مسألة ظهرت فيما بعد.. إذ يبدو أنه بينما كانت السيدة "**ساندرز**" تلعب الورق عند أسرة "**مورتيمر**" إذ طلبها من يدعى السيد "**ليتلويرث**" للتحدث بالتليفون.. وقد لوحظ بعد المكالمة أنها منفعلة ومسرورة من شيء ما، ثم انصرفت من عند الأسرة قبل الموعد المقدر لانصرافها.

وعندما سئل السيد "**ساندرز**" إن كان يعرف شخصا باسم "**ليتلويرث**" نفى هذا نفيا تامًا.. وكان ذلك أيضا هو الانطباع الذي بدا في مسلك السيدة "**ساندرز**" عقب المكالمة وإن عادت منها مبتسمة متوردة الخدين.. ومن هذا يبدو أن المتكلم لم يكن اسمه الحقيقي "**ليتلويرث**"، وتلك ظاهرة مشيرة للشك في مجرى الأحداث.

وعلى أية حال فهذا هو الموقف بالنسبة إلى القضية الغامضة.. فهل ما حدث هو واقعة السرقة التي بدت غير محتملة، أو النظرية القائلة بان السيدة "**ساندرز**" كانت تستعد للخروج لمقابلة شخص معين؟ هل جاء إليها ذلك الشخص عن طريق سلم الحريق؟ وهل حدثت مشادة بينهما؟ وهل هاجمها غدرا؟

توقفت الآنسة "**ماربل**" عن الكلام فقال السيد "**هنري**" مدير البوليس السابق:

–حسنًا. ما الجواب؟

–ترى هل فكر أحدكم في الجواب؟

فقالت السيدة "**بانتري**":

–من المؤسف أن "**ساندرز**" توافرت له هذه الأدلة لتغطية تحركاته وقت الجريمة.. لكن ما دمت قد اقتنعت بها فقد انتهت المعضلة.

فقالت الآنسة "**هيلر**" الممثلة الفاتنة:

–لماذا كانت خانة القبعات في دولاب الملابس مغلقة؟

فاجابت الآنسة "**ماربل**" وقد تهلل وجهها:

–ما ابرعك في هذا السؤال يا عزيزتي!! إنه السؤال الذي وجهته إلى نفسي، وإن كان التفسير غاية في البساطة.. كان في تلك الخانة زوج (شبشب) مطرز، وبعض مناديل للجيب، كانت الزوجة المنكودة تطرزها لزوجها كهدية في مناسبة عيد الميلاد.. ولهذا السبب أغلقت الخانة بالمفتاح، الذي وجد في حقيبة يدها.

–إذن فليست هذه النقطة مهمة في النهاية.

فقالت السيدة "**ماربل**":

–بل هي أهم نقطة في الموضوع.. النقطة التي أفسدت على القاتل خطته. حملق الجميع إلى وجه السيدة العجوز، فمضت الآنسة "**ماربل**" تقول:

–إنني لم أفطن إلى هذه النقطة على مدى يومين كاملين.. وكنت خلال ذلك أفكر وأقدح زناد الفكر ثم فجأة اتضح لي كل شيء.. فذهبت إلى المفتش وطلبت منه أن يجرب شيئا.. ففعل ما طلبت.

–وما الذي طلبت إليه أن يجربه؟

–طلبت إليه أن يطابق تلك القبعة على رأس القتيلة المنكودة، وبالتأكيد لم يستطع؛ إذ لم تنطبق على الرأس؛ لأنها لم تكن قبعتها.

فحدقت إليها السيدة "**بانتري**" قائلة:

–لكن القبعة كانت على رأسها في البداية.

–لم تكن على رأسها.

وتوقفت الآنسة "**ماربل**" برهة حتى تستقر كلماتها في النفوس، ثم استطردت تقول:

–إننا سلمنا جميعا بأن الجثة التي وجدناها كانت جثة "**جلاديس**" الزوجة المسكينة.. لكننا لم ننظر قط إلى وجهها.. فقد كانت منكفئة على وجهها، وكانت القبعة تخفي كل شيء.

–لكنها ماتت قتلا.

–نعم.. لكن فيما بعد.. إذ إنه في اللحظة التي كنا نبلغ فيها البوليس تليفونياً كانت "**جلاديس ساندرز**" على قيد الحياة.

–تقصدين أنها كانت جثة امرأة أخرى تتظاهر بأنها "**جلاديس**".. ولكن عندما لمستم الجثة؟

فقالت الآنسة "**ماربل**":

–كانت جثة امرأة ميتة.. لا شك في ذلك.

فقال العميد "**بانتري**":

–يا للعجب! لكن لا يمكن أن توجد الجثث مبعثرة يمينا ويسارا تحت الطلب وماذا فعلوا بالجثة الأولى فيما بعد؟

فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول:

–إنه أعاد الجثة الأولى إلى مكانها.. لقد كانت فكرة شيطانية في الواقع، وكان حديثنا في غرفة الجلوس هو الذي أوحى إليه بالفكرة.. فكرة استخدام جثة "**ماري**" الوصيفة المسكينة التي توفيت منذ فترة.. تذكروا أن غرفة "**ساندرز**" كانت بين غرف الخدم في الدور العلوي، وكانت غرفة "**ماري**" الوصيفة بعد غرفتهما بغرفتين.. وكان المعروف أن (الحنوطي) ورجاله لن يحضروا لنقل جثتها قبل حلول الظلام. فاطمأن "**ساندرز**" إلى هذا، وحمل جثة "**ماري**" في الشرفة المستطيلة المشتركة، والظلام يسود في الخامسة وألبسها ملابس زوجته ومعطفها الأحمر الكبير..

وعندئذ وجد خانة القبعات مغلقة.. لم يكن أمامه سوى شيء واحد يفعله، فجاء بإحدى قبعات الوصيفة المذكورة وما كان لأحد أن يلاحظ هذا.. ثم وضع كيس الرمل بجانب الجثة، وخرج بعد ذلك لإثبات تحركاته ووجوده بعيدا عن مكان

الجريمة.

لقد اتصل بزوجته تليفونيا، منتحلا اسم "**ليتلويرث**" ولست أعرف ما قاله لها. إنها كانت إنسانة سليمة النية تصدق ما يقال لها كما ذكرت لكم من قبل، وقد طلب إليها أن تنصرف من لعب الورق مبكرا وألا تعود إلى الفندق، واتفق معها أن تقابله في حديقة الفندق قرب سلم الحريق في الساعة السابعة.. ولعله أخبرها بأنه جاء إليها بمفاجأة تسرها.

ثم يعود بعد ذلك إلى الفندق مع صديقيه ويرتب أن يكون اكتشاف الجريمة بحضوري أنا والآنسة "**ترولوب**".. بل إنه يتظاهر بأنه يريد تقليب الجثة في مكانها، فأمنعه أنا من ذلك.. ثم يجري استدعاء البوليس، ويخرج هو متصنعا الحزن والتفجع.

إن أحدا لم يسأله إثبات تحركاته بعد الجريمة.. وهكذا فهو يقابل زوجته، ويصعد معها في سلم الحريق، ويدخلان غرفتهما.. ولا يبعد أنه أخبرها سلفا عن وجود جثة في الغرفة منتحلا قصة ما، وعندما تنحني فوقها لكي تنظر، يتناول كيس الرمل ويضربها الضربة القاتلة.. ثم يسرع بنزع التايير ويعلقه، ويلبسها ملابس الجثة الأخرى.

لكنه وجد القبعة لا تنطبق على رأسها؛ لأن شعر "**ماري**" مقصوص، في حين أن شعر "**جلاديس**" غزير معقود فوق الرأس فيما يشبه الكرة وهكذا اضطر إلى ترك القبعة بجانب الجثة مؤملا ألا يلاحظ أحد هذه المسألة وبعد ذلك حمل جثة "**ماري**" الوصيفة عائدا بها إلى غرفتها، حيث ردها إلى مكانها كما كانت.

وعندئذ قال الدكتور "**لويد**":

–هذا شيء لا يصدق.. إنه قام بمخاطرات كثيرة وكان يمكن أن يسبقه رجال البوليس ويفاجئونه.

فقالت الآنسة "**ماربل**":

–تذكرون أن خط التليفون كان معطلا، ولا شك أن العطل كان من تدبيره؛ إذ

لم يكن يحتمل أن يدع رجال البوليس يحضرون سريعا، وعندما وصل رجال البوليس أمضوا بعض الوقت في مكتب مدير الفندق قبل الصعود إلى غرفة النوم، وكانت أضعف نقطة في الجريمة هي احتمال أن يلاحظ أحد الفرق بين جثة توفيت منذ ساعتين، وجثة توفيت منذ نصف الساعة فقط، ولكنه اعتمد على أن الذين يكتشفون الجريمة لأول مرة لن يكونوا من الخبراء بمثل هذه المواقف. فأوما الدكتور "لويد" قائلاً:

–إن الجريمة يمكن أن يفترض أنها ارتكبت حوالي الساعة السابعة إلا الربع أو قرب ذلك.. أما الواقع فإنها ارتكبت في الساعة السابعة أو بعدها بدقائق.. وعندما يقوم طبيب البوليس بفحص الجثة يكون ذلك حوالي الساعة السابعة والنصف.. وعند ذلك لا يمكن الجزم بشيء.

فقالت الآنسة "ماربل":

–كنت أنا التي يجب أن تعرف هذا.. فإنني تحسست يد الوصيفة المسكينة وكانت باردة كالثلج، ومع ذلك فبعد فترة قصيرة تكلم مفتش البوليس وكأن الجريمة لابد أنها ارتكبت قبيل وصولنا، ولم أفطن وقتها إلى ذلك كله.

فقال السيد "هنري":

–أعتقد أنك فطنت إلى الكثير يا آنسة "ماربل". إن هذه القضية حدثت قبل وجودي في الخدمة، ولا أذكر أني سمعت بها.. فما الذي حدث بعد ذلك؟

فقالت الآنسة "ماربل" بإيجاز:

–إن "ساندرز" أعدم شنقا.. وهو يستحق هذا جزاء وفاقا.. والواقع أنني لم أندم على دوري في تقديمه إلى العدالة والقصاص.

◆◆◆◆◆

- 11 -

جريمة حب

كان السيد "هنري كيترنغ" ينزل ضيفا على صديقه العميد "بانتري" عدة أيام معدودة، وذات صباح قصد إلى قاعة الطعام ليتناول فطوره، وفيما هو يهم بدخولها. رأى السيدة "بانتري" تخرج بسرعة واضطراب حتى كادت تصطدم به، ولكن العميد "بانتري" نفسه كان جالسا إلى المائدة فقال يحدث ضيفه:

–طاب صباحك يا "كيترنغ". يوم جميل كما يبدو. تفضل بالجلوس إلى المائدة وتناول طعامك.

وشرع السيد "هنري" في تناول فطوره، وبعد برهة صمت قال العميد:

–يبدو أن "دوللي" مضطربة لسبب ما؟

–هذا ما تبينته.

–نعم، لقد سمعت هذا الصباح خبرا أزعجها.. خبرا عن فتاة حسناء من فتيات القرية هي "روز إيموت" ابنة "إيموت" صاحب مشرب "البلوبوز".

–أوه!

–إنها فتاة حسناء ولكنها جلبت على نفسها المتاعب. إنها القصة المعروفة نفسها، وكنت أتناقش مع "دوللي" في هذا الموضوع، ولكنها تأبى أن تكون منصفة وهي في جانب الفتاة على طول الخط، ولكنني أرى أن مسؤولية الفتاة لا تقل عن مسؤولية الشاب الذي غرر بها، وإن كنت في الواقع أميل إلى ذلك المهندس الشاب "سانفورد". إنه أقرب إلى البساطة والهدوء منه إلى شاب عابث أو زير نساء.

–أهذا الشاب "سانفورد" هو الذي غرر بالفتاة، وأوقعها في المتاعب؟

–هكذا يقال. وأنا شخصيا لا أعرف الحقيقة وإنما الأمر كله تقولات وشائعات وتكهنات كما هو الحال دائما في البلدان الصغيرة وأنا لست مثل "دوللي" التي تقفز إلى النتائج بلا مقدمات ثابتة والتي تنشر الاتهامات يمينا ويسارا والواجب أن

يكون الإنسان حريصا شديد الحذر في هذه الحالات التي يجري فيها التحقيق.

-التحقيق ؟

فحملق العميد "بانتري" إلى وجه السيد "هنري" وقال له:

-أوه ! ألم أخبرك؟ لقد أغرقت الفتاة نفسها، وهذا هو الذي حول الحادث إلى مأساة، إن والد الفتاة رجل غليظ قاسٍ، ويبدو أنها آثرت الموت على مواجهته بالحقيقة.

-وأين أغرقت نفسها؟

-في النهر بعد المصنع بثمانمائة متر تقريبا، ومجرى النهر هناك سريع التيار وتوجد قنطرة صغيرة للمشاة فقط، ويقال إنها قفزت من فوق هذه القنطرة إلى النهر.

وبعد تناول الطعام، شغل العميد بقراءة صحيفته، ومضى السيد "هنري" إلى الحديقة حيث استرخى في مقعد مريح، وغطى نصف وجهه بحافة قبعته، واستغرق في تأملات هادئة عن مفارقات الحياة إلى أن جاءت الخادمة لتخبره بان الآنسة "ماربل" قد حضرت لمقابلته فنهض بسرعة، ومضى مع الخادمة إلى غرفة الاستقبال حيث وجد الآنسة "ماربل" تنتظره في هدوئها المعتاد.

وبعد أن تبادلا التحية في مودة وحرارة، قالت الآنسة "ماربل":

-لقد جئت إليك يا سيد "هنري" لأتحدث إليك على انفراد في موضوع مؤلم.. مأساة.

-أتعنين مأساة الفتاة "روز إيموت" ؟

-أوه ! هل بلغتك الاخبار؟ نعم.. إنني جئت لهذا السبب.

وبعد تردد يسير استطردت تقول:

-إنني أخشى أن تسخر مني يا سيد "هنري" عندما أحدثك بالسبب الذي جئت إليك من أجله.

-أيمكن أن يسخر منك أحد يا آنسة "ماربل" ؟

-السيد "هنري" إن هذه الفتاة "روز إيموت" لم تمت منتحرة.. كما يقولون، بل

ماتت مقتولة وأنا أعرف من قتلها.

وعقدت الدهشة لسان "هنري" لحظة، ولما أفاق من دهشته، قال:

-إن ما تقولينه يا آنسة "ماربل" أمر خطير.

فأومأت برأسها وقالت:

-نعم.. نعم أعرف. وهذا ما حفزني إلى الحضور إليك.

-ولكنني يا عزيزتي لست بالرجل الذي تلجئين إليه في أمر كهذ، فأنا كما تعلمين قد اعتزلت الخدمة وأصبحت كأي شخص عادي، فلماذا لا تذهبين إلى مركز البوليس؟

-إنني لا أستطيع .

-لماذا ؟

-لأنني.. لأنني لم أحصل بعد على ما تسمونه "المعلومات الأكيدة" .

-أتعنين أنك تعرفين الجاني عن طريق الاستنتاج فقط؟

-يمكنك أن تقول هذا إذا شئت، ولكنني متأكدة من شخصية الجاني لأسباب خاصة ولو أني ذكرت هذه الأسباب لمفتش البوليس "درويت"، أو المأمور "ميليشيت"، لسخر كل منهما مني وهزأ بي، وسيكون له العذر؛ لأن الأمر لا يمكن أن يدرك ببساطة.

إن ما أرجوه منك هو أن تهتم بالموضوع، وأن تشترك معي في التحريات بصفتك الشخصية، ولا شك أن المفتش "درويت" والمأمور "ميليشيت" سيعتبران اهتمامك بهذا الأمر شرفا كبيرا.

-وما المعلومات التي ستزودينني بها لأبحث الأمر على ضوئها؟

-لقد خطر لي أن أكتب اسم الجاني الحقيقي في ورقة وأسلمها إليك فإذا ثبت من تحرياتك أن صاحب هذا الاسم لا علاقة له بالجريمة، فسوف أعترف لك بأنني أخطأت الظن والتقدير.

ثم توقفت برهة قبل أن تردف قائلة وهي ترتعد قليلا:

-ليس في الدنيا أفظع ولا أقسى من الحكم على إنسان بريء بالإعدام شنقا، ثم

أخرجت من حقيبة يدها ورقة كتب عليها اسم وعنوان شخص ما، وقدمتها إلى السيد "**هنري**" الذي نظر إليها في شيء من الدهشة، ثم قال وهو يضعها في جيبه:

-هذا أمر عجيب حقًا، ولكنني سأحاول أن أكون عند حسن ظنك بي.

وقال السيد "**هنري**" وهو جالس مع المفتش "**درويت**" في مكتب "**ميليشيت**":

-الواقع أنني أشعر بأنني دخيل عليكم، ولكنني لا أستطيع الآن أن أصارحكم بالسبب الذي من أجله أرجو أن تشركوني في تحرياتكم عن هذا الحادث.

فقال "**ميليشيت**":

-الواقع يا سيدي أن الحادث في حد ذاته بسيط وواضح، وكان الرأي في أول الأمر أن الفتاة أغرقت نفسها، ولكن طبيب الصحة وهو رجل ذكي ،قوي الملاحظة لاحظ وجود كدمات على ذراعي الفتاة فوق المرفقين تدل على أن شخصا ما أمسكها بقوة وقذف بها من فوق القنطرة إلى الماء.

-وهل كان الأمر يحتاج إلى قوة كبيرة لقذفها؟

-لا أظن فلم يكن ثمة مجال للمقاومة، فالفتاة أخذت على غرة والقنطرة صغيرة مخصصة للمشاة ومن الخشب الزلق ولها جانب بدون سياج فكان من السهل جداً قذفها إلى الماء بلا مقاومة.

-هل أنت متأكد تماما أن الحادث وقع في ذلك المكان؟

-نعم. لقد شهد بذلك غلام في الثانية عشرة من عمره يدعى "**جيمي براون**"، كان في منطقة الغابات الواقعة على الجانب الآخر من النهر، وقد سمع صيحة على القنطرة، ثم صوت سقوط شيء في الماء، وكان الوقت في عتمة ما بعد الغروب، والرؤية غير واضحة، ولكنه استطاع أن يرى بعد ذلك جسما أبيض يطفو على سطح الماء، فانطلق إلى القرية طالبا النجدة ولكنها جاءت بعد فوات الأوان.

-ألم ير الغلام أحدا على القنطرة؟!

-لا.. فقد كان الوقت بعد الغروب، وكان ثمة ضباب خفيف في الجو، ولكنني سأسأله على كل حال عما إذا كان قد رأى أحدا قبل أن يسمع الصيحة أو بعدها.

وقال المفتش "**درويت**":

-وغير هذا فقد عثرنا على رسالة يا سيد "**هنري**" كانت في جيب الفتاة الغرقة ومكتوبة بقلم من النوع الذي يستعمله المهندسون، وعلى الرغم من ابتلال الورقة، فقد استطعنا أن نقرأ الكلمات المكتوبة عليها وهي:

"حسنا مادمت مصرة على أن تقابليني، فليكن اللقاء عند القنطرة في السابعة والنصف مساء ر.س

واستطرد المفتش يقول:

-إن كاتب هذه الرسالة هو "**روبرت سانفورد**" الشاب المتهم بالتغرير بالفتاة، وكان الغلام "**جيمس**" قد سمع الصيحة بعد السابعة والنصف بلحظات.

والتقط "**ميليشيت**" حبل الحديث وقال:

-هل رأيت هذا الشاب يا سيد "**هنري**"؟ إنه مهندس معماري شاب له آراء عصرية في الهندسة المعمارية، وقد جاء من "**لندن**"؛ ليشيد قصرا لـ "**آل ألنجتون**" وأعتقد أن سكان القرية غير راضين عن آرائه العصرية، بل وعن سلوكه العصري أيضا.

وقال المفتش "**درويت**":

-أيًا كان الأمر، فإن الحادث قد أصبح واضحا كل الوضوح، فالشاب "**سانفورد**" غرر بالفتاة حتى حملت منه. وهو يريد الآن أن يعود إلى "**لندن**" بسرعة؛ لأن له فيها خطيبة حسناء عريقة الأصل، وبالتأكيد لم يرغب في أن يبلغ مسامع الخطيبة ما حدث بينه وبين "**روز إيموت**" فقرر أن يتخلص منها وضرب لها موعداً عند القنطرة في ساعة يكون فيها الظلام قد حل وهناك انتهز فرصة خلو المكان من الناس وقذف بها إلى النهر.

فقال "**هنري**":

-أعتقد أنه ليس هناك أدنى شك في أن هذا الشاب "**سانفورد**" هو والد الجنين الذي كان في بطن المسكينة "**روز**".

-لا شك في ذلك، فإن "**روز**" أخبرت والدها بالحقيقة قبيل موتها، وقالت له إنها

أسلمت نفسها إليه حين ظنت أنه ينوي الزواج بها.

ألم يكن للفتاة حبيب من شبان القرية؟

–أتعني "جو إيليس"؟ إنه شاب طيب يشتغل نجارا. أوه! ليتها ظلت وفية له؟!

–وماذا كان وقع الحادث على "جو إيليس" هذا؟

–لا أحد يعرف. إنه شاب هادئ وديع، متحفظ بسيط، وكان يحب "روز" هذا الحب الذي يجعله يرى أن كل ماتفعله صواب، وعلى الرغم من علاقتها بـ"سانفورد"، فقد كان يأمل أن تعود إليه في النهاية نادمة طالبة الصفح والغفران.. هذا هو موقفه على ما أعتقد.

فقال السيد "هنري":

–إنني أود أن أراه.

–سوف نراه حتما. فنحن لن نهمل أي جانب من جوانب هذه المأساة، وسوف نقابل "إيموت"، والد الفتاة أولاً، ثم "جو إيليس".

وذهبوا إلى "توم إيموت" في مشربه "البلوبور" وكان رجلا ضخم الجسم، زائغ النظرات، سوقي الطباع، وقد قال حين رآهم:

–أنا سعيد برؤيتكم أيها السادة.. كيف حالك يا عميد؟ تفضلوا بالجلوس في هذه الغرفة؛ لنكون على انفراد.. هل تسمحون لي بأن أقدم شيئًا من الشراب؟ لا، حسنًا لقد جئتم لتتحدثوا إلي بشأن مأساة ابنتي المسكينة لقد كانت فتاة طيبة، ولكن ذلك الحيوان غرر بها، وخدعها بالحديث عن الزواج، وجلب الفضيحة على ابنتي، فسوف أطالب برأسه، فكما ماتت ابنتي يجب أن يموت على حبل المشنقة.

وهنا قال له المفتش "درويت":

–هل صارحتك ابنتك بأن هذا الشاب هو الذي غرر بها؟

–نعم. وفي هذه الغرفة بالذات قالت لي باكية إنه والد الجنين الذي كان في بطنها.

وسأله "هنري" قائلا:

–وماذا قلت لها؟

–قلت لها!

وتوقف الرجل برهة كأنما فوجئ بهذا السؤال.

وعندئذ قال "ميليشيت":

–ألم تهددها بالطرد من بيتك مثلا؟

–لا، لا.. لقد غضبت وحزنت وهذا أمر طبيعي. وأين الوالد الذي لا يغضب، أو يثور في حالة كهذه، ولكنني لم اهددها بالطرد بل قررت أن ألجأ إلى القانون لإرغام ذلك الشاب على إصلاح غلطته.

–متى رأيت ابنتك آخر مرة؟

–أمس في موعد الشاي.

–وكيف كان حالها؟

–كالمعتاد فلم ألاحظ عليها شيئا غير طبيعي.

واستأذن الثلاثة وانصرفوا. وفي الطريق قال المفتش "درويت":

–إن "توم إيموت" واحد من سفلة الناس، ولو ظلت ابنته على قيد الحياة لعرف كيف يبتز المال من "سانفورد" حتى يمتص دمه.

وكانت زيارتهم التالية لـ"سانفورد"، وقد رآه السيد "هنري" يختلف كثيرا عن الصورة التي تخيلها عنه، رآه شابًا طويلا، نحيلا، ذهبي الشعر، حالم النظرات، ناعم الحديث.

وبعد أن قدم "ميليشيت" نفسه وزميليه إليه تحدث في الموضوع مباشرة فقال:

–أظنك تعرف أن الفتاة "روز إيموت" قد أغرقت في الليلة الماضية؟

–نعم.. نعم إنه لأمر مؤلم. إنني لم أنم لحظة واحدة منذ ذلك الحين. بل لم أستطع أن أشتغل اليوم، فأنا أشعر بأنني مسؤول... مسؤول.

ثم خلل بأصابعه شعر رأسه واستطرد يقول بصوت حزين:

–لم أكن أقصد الإساءة إليها قط. لم يخطر ببالي لحظة أنها.. أنها ستفعل بنفسها هذا!

وأخفى وجهه بين يديه فجأة. وعندئذ قال المفتش "درويت":

–ماذا كنت تفعل ليلة أمس في الساعة السابعة والنصف؟

–كنت أتمشى في تلك الساعة.

–ألم تذهب للقاء "**روز**"؟

–لا.. لم أذهب وقد كنت أتمشى بعيدا عن القنطرة في الجانب الآخر في منطقة الغابات.

–إذن ما قولك في هذه الرسالة التي وجدناها في جيب الفتاة الغرقة؟

وبعد أن قرأها بصوت مسموع، أردف المفتش قائلا:

–هل تنكر أنها مكتوبة بخط يدك؟!

–لا.. لا أنكر! لقد كتبتها فعلا. كانت "**روز**" قد أصرت علي أن أقابلها ولم أدر ماذا أفعل. فكتبت لها هذه الرسالة، ولكنني لم أذهب في الموعد إذ رأيت أن خير ما أفعله هو أن أتخلف عن الذهاب، فقد كنت مزمعا الرحيل إلى "**لندن**" غدا ،وقررت أن أكتب إليها من "**لندن**" وأن أقوم ببعض الترتيبات من أجلها.

–هل تعرف يا سيد "**سانفورد**" أن الفتاة كانت حاملا، وأنها قالت إنك والد الجنين؟

فتأوه "**سانفورد**" ولم يجب، فعاد المفتش يقول:

–هل كانت صادقة فيما قالت؟

فزاد "**سانفورد**" من إخفاء وجهه بين يديه وهو يقول بصوت مختنق:

–أعتقد هذا.

–حسنا. هل رآك أحد وأنت تتمشى في الغابة ليلة أمس؟

–لا أدري، ولا أظن، فأنا بقدر ما أذكر لم ألتقِ مع أحد.

–هذا أمر يؤسف له.

وهنا قال الشاب في حدة وعنف:

–ماذا تعني؟! ما علاقة هذا كله بفتاة أغرقت نفسها؟

–إن الفتاة لم تغرق نفسها يا سيد "**سانفورد**" بل أغرقها شخص ما عمدا.

وارتسمت الدهشة بوضوح على وجه الشاب، ثم غمغم بعد برهة صمت:

–يا إلهي! إذن.

ونهض الرجال الثلاثة لينصرفوا، وقال "**ميليشيت**":

–عليك ألا تغادر هذا المنزل بأية حال من الأحوال يا سيد "**سانفورد**" حتى تصدر إليك أوامر أخرى.

وفي الخارج تبادل المفتش والمأمور النظرات، ثم قال المأمور:

–الأمر واضح، عليك أن تستصدر يا "**درويت**" أمرا من النيابة بالقبض عليه وهنا قال السيد "**هنري**":

–معذرة، لقد نسيت قفازي، سوف ألحق بكما في الطريق.

وأسرع عائدا إلى الشاب الذي ظل في مكانه ينظر أمامه بدون أن يرى شيئا وقال له السيد "**هنري**":

–لقد عدت لأقول لك بصفة شخصية إني سأبذل جهدي لمعاونتك ولا أستطيع الآن أن أكشف عن السبب في هذه المعاونة، ولكنني أحب أن تصارحني في إيجاز بكل ما حدث بينك وبين الفتاة.

–كانت جميلة.. جميلة جداً وجذابة ومغرية.. ولعوبا إلى أقصى حد ويبدو أنها وضعت عينها عليَّ وقررت أن توقعني في شباكها، وأشهد الله أن هذا ما حدث وأنها لم تدخر وسعا في مطاردتي واستدراجي، ولما كنت أعيش هنا في شبه عزلة، فقد استجبت لرغبتها.. فحدث ما حدث، وعندئذ طلبت إليَّ أن أتزوجها وأدركت أنها رسمت خطتها على هذا الأساس، ولم أدرِ ماذا أفعل..

فقد كنت خاطبا لفتاة من "**لندن**"، ولو أنها علمت بالأمر لفسخت الخطبة فورا، ومن ثم قررت أن أتجنب "**روز**"، وأن أمضي إلى "**لندن**" لأرتب الأمر مع محامي حتى أسوي الموضوع مع والدها بطريقة ودية على أن أدفع له ولها مبلغا معينا كل شهر. آه ما أشد غبائي! لقد كانت الخدعة واضحة فكيف عجزت عن إدراكها؟

–ألم تهددك الفتاة بقتل نفسها؟

–أبدا. إنها لم تكن من النوع الذي يقتل نفسه لسبب كهذا؟!

وماذا تعرف عن الشاب المدعو "**جو إيليس**"؟!

–النجار؟ إنه شاب قروي طيب القلب، محدود الذكاء كان يحب "**روز**" بجنون.

–لعل الغيرة كانت تعذبه.

–لا شك في أنه كان يشعر بالغيرة، ولكنني أعتقد أنه من الطراز الذي يتألم في صمت.

–حسنا، يجب أن أنصرف الآن.

ولحق السيد "**هنري**" بصاحبيه وقصد ثلاثتهم إلى بيت "**جو إيليس**". وكان البيت الصغير نظيفا مرتبا، وكانت المرأة التي فتحت لهم الباب ممتلئة الجسم في منتصف العمر، طلقة الوجه، زرقاء العينين، فقال لها المفتش:

–طاب صباحك يا سيدة "**بارتليت**".. هل "**جو إيليس**" هنا؟

–لقد عاد منذ عشر دقائق. تفضلوا بالدخول. ثم صاحت:

–"**جو**"! هلم أسرع إن بعض السادة يريدون مقابلتك، فرد عليها "**جو**" من المطبخ قائلاً:

–سوف آتي حالا بعد أن أفرغ من غسل رأسي ويدي وقال "**ميليشيت**" يحدث المرأة:

–أترين أن "**جو إيليس**" ساكن وديع يا سيدة "**بارتليت**"؟

–لا يمكن أن أجد إنسانا ساكنا أحسن منه يا سيدي. إنه شاب رزين متزن لا يتناول الشراب ،ولا يهمل عمله لحظة، ولسوف تسعد به إحدى الفتيات يوما!

–أعتقد أنه كان يحب تلك الفتاة المسكينة "**روز إيموت**"! أليس كذلك؟

فتنهدت السيدة "**بارتليت**" قائلة:

–لقد أساءني حبه هذا، نعم كان يحب الأرض التي تسير عليها على حين لم تكن هي تهتم به مقدار خردلة.

–أين يقضي "**جو**" أمسياته يا سيدة "**بارتليت**"؟

–هنا عادة يا سيدي، إنه يدرس بالمراسلة برنامجا لمسك الدفاتر.

–وهل كان هنا ليلة أمس؟

–أوه! بالتأكيد يا سيدي.

وعندئذ قال لها السيد "**هنري**" في حدة:

–هل أنت واثقة بهذا يا سيدة "**بارتليت**"؟!

–كل الثقة يا سيدي.

– ألم يخرج، مثلا فيما بين السابعة والسابعة والنصف؟

–لا، لقد كان يصلح خزانة المطبخ ويصنع لها رفًا جديدا، وقد استغرق هذا العمل منه المساء كله، وكنت أساعده. ونظر السيد "**هنري**" إلى وجهها الباسم الواثق، ثم شعر بأولى بوادر الشك، وبعد لحظات أقبل "**جو إيليس**" إلى الغرفة، فإذا هو شاب طويل، عريض المنكبين، كبير الرأس، وسيم الوجه، خجول النظرات.

وانسحبت السيدة "**بارتليت**" إلى المطبخ، وبدأ "**ميليشيت**" الحديث مع "**جو**" قائلا:

–إننا نحقق في حادث موت الفتاة "**روز إيموت**" يا "**جو**" إنك تعرفها بالتأكيد!

فقال الشاب بصوت متردد:

–نعم، وكنت أرجو أن أتزوجها.

–وقد سمعت بالظروف التي أحاطت بها قبل موتها!

–نعم، لقد خذلها الشاب وحسنا فعل؛ لأنها لو تزوجته لعاشت معه طول حياتها بائسة شقية، وكنت أتوقع أنها ستعود إليّ بعد أن يخذلها.

–على الرغم من أنها..؟

–إني التمس لها العذر فقد أغراها بالوعود. إنها أخبرتني بكل شيء، ولم يكن هناك ما يدعوها لأن تغرق نفسها فما كان الأمر يستحق هذه التضحية.

–أين كنت يا "**جو**" ليلة أمس في نحو الساعة السابعة والنصف؟

وخُيِّل إلى السيد "**هنري**" أن الشاب أجاب بسرعة تثير الشك في أنه كان يتوقع هذا السؤال، فاستعد له بهذه الإجابة:

–كنت هنا أصلح خزانة المطبخ وأصنع لها رفا جديدا، ويمكنك أن تسأل السيدة "**بارتليت**" إنها تشهد بذلك.

وبعد أسئلة أخرى قليلة، انصرف الرجال الثلاثة، ولكن السيد "**هنري**" استأذن

–قبل الانصراف، في الذهاب إلى المطبخ وهناك رأى السيدة "**بارتليت**" مشغولة بإشعال الموقد، فلما رأته رفعت إليه وجهها الطلق، فقال لها حين رأى خزانة المطبخ وقد بدا فيها رف جديد، وبعض أدوات النجارة لاتزال موضوعة بالقرب منها:

–أهذه خزانة المطبخ التي كان يصلحها "**جو**"؟

–نعم. وقد أحسن إصلاحها، إنه نجار بارع.

ولم يلاحظ السيد "**هنري**" على وجه المرأة شيئًا من أمارات الخوف أو الاضطراب وفيما هو يستدير لينصرف، اصطدم بعربة أطفال فقال لها:

–أرجو الا اكون قد أيقظت الطفل؟

فضحكت السيدة "**بارتليت**" وقالت:

–أوه! لا يا سيدي ليس لدي للأسف أطفال، إنني أوزع الملابس المغسولة المكوية على الزبائن بواسطة هذه العربة.

–آه! فهمت.

ثم أردف قائلا بعد لحظة صمت:

–السيدة "**بارتليت**"، إنك تعرفين بالتأكيد "**روز إيموت**" ما رأيك فيها؟

فنظرت إليه في فضول، ثم قالت:

–كانت سيئة السلوك جداً وأنا لا أستطيع أن أقول هذا أمام "**جو**" فقد كانت تسيطر عليه بجاذبيتها حتى جعلته لا يرى واحدة غيرها، وإن "**جو**" للأسف، من النوع الذي إذا أحب، أخلص في حبه تماما.

ولما انصرف الرجال الثلاثة من البيت الصغير، قال "**ميليشيت**":

–أعتقد أن الأمر قد ازداد وضوحا الآن!

فقال المفتش:

–نعم، إن "**سانفورد**" هو رجلنا المنشود، إن المظاهر كلها متوافرة على إدانته، أعتقد أن الفتاة، بمساعدة أبيها، قد بدأت تبتز المال منه ولما خشي الفضيحة، لأنه ليس لديه من المال ما يكفي لكتمان الأمر، استبد به اليأس، وقرر التخلص منها، إن هذا أمر واضح جداً. أليس كذلك يا سيد "**هنري**"!

–هذا ما يلوح، ولكنني لا أستطيع أن أتصور "**سانفورد**" قاتلا، ثم أردف قائلا فجأة:

–أحب أن أرى ذلك الغلام.. الغلام الذي سمع الصيحة عند القنطرة.

ولما ذهبوا إلى "**جيمي براون**"، وجده السيد "**هنري**" غلاما فطنا، واضحا في إجاباته، وسأله السيد "**هنري**" قائلا:

–فهمت أنك كنت تسير على الجانب الآخر من النهر. فهل رأيت أحدا يسير على ذلك الجانب وأنت تعبر القنطرة؟

–كان هناك شخص يسير في الغابة، وأظن أنه ذلك المهندس "**سانفورد**".

وتبادل الرجال الثلاثة النظرات، وقال السيد "**هنري**":

–ومتى كان هذا؟ أقبل أن تسمع الصيحة أم بعدها؟

–بل قبل أن أسمعها بنحو.. بنحو عشر دقائق.

–وهل رأيت أحدا آخر في الجانب الآخر من النهر أعني على الجانب الذي تقع عليه القرية لا الغابة؟

–رأيت رجلاً يسير ببطء من بعيد ويصفر بشفتيه، وأعتقد أنه "**جو إيليس**".

–كيف عرفت هذا في ظلام ما بعد الغروب؟

–عرفته من صفيره، فإن "**جو إيليس**" يصفر دائما لحنا معينا هو لحن "أريد أن أعيش سعيداً" إنه اللحن الوحيد الذي يعرفه.

وسأله السيد "**هنري**" قائلا:

–وهل كان في طريقه إلى القنطرة؟

–لا، بل كان متجها نحو القرية.

وقال "**ميليشيت**":

–قلت إنك سمعت صيحة عند القنطرة، ثم صوت سقوط جسم في الماء، وبعد لحظات رأيت شيئا أبيض يطفو على سطحه، فارتددت راجعا بسرعة وعبرت القنطرة إلى القرية لتأتي بالنجدة، ألم تر أحدا بالقرب من القنطرة وأنت منطلق في طريقك إلى القرية؟

-رأيت من بعيد رجلين معهما عربة يد، ولكنني لم أدر هل كانا ذاهبين إلى القرية أم خارجين منها ولما كان منزل السيد "**جايلز**" أقرب إلي منهما فقد أسرعت إليه بدلاً من الإسراع إليهما في طلب النجدة.

-لقد أحسنت يا ولدي، أحسنت التصرف بذكاء. إنك عضو في فرقة الكشافة أليس كذلك؟!

-بلى يا سيدي.

وبعد انصرافهم، افترق السيد "**هنري**" عن صاحبيه، وذهب إلى الآنسة "**ماربل**" وقال لها:

-جئت لأقدم إليك تقريرًا عن تحرياتنا، وأخشى أن أقول إن هذه التحريات لا تتفق مع وجهة نظرك في هذا الحادث، وقد تركت "**ميليشيت**" يستعد لاستصدار أمر بالقبض على "**سانفورد**"، وهو يعتقد تماما أنه على صواب. ولما حدثها بتفاصيل تحرياته، قالت الآنسة "**ماربل**" عندما أكد لها أن "**جو إيليس**" أمضى المساء كله في البيت مع السيدة "**بارتليت**":

-ولكن هذا لا يمكن أبدا، فإن مساء أمس، كان مساء يوم الجمعة.

-مساء يوم الجمعة؟!

-نعم، وهو المساء الذي توزع فيه السيدة "**بارتليت**" الملابس المغسولة والمكوية على زبائنها، وهذه حقيقة يعرفها الجميع.

واسترخى السيد "**هنري**" في مقعده وقد تذكر حديث الغلام "**جيمي**" عن الشاب الذي سمعه يصفر ذلك اللحن وفجأة قال للآنسة "**ماربل**":

-أعتقد أنني عرفت الآن كل شيء.

وبعد خمس دقائق كان جالسا في مواجهة "**جو إيليس**" في ردهة البيت الصغير يقول له بحزم:

-لقد كذبت علي يا "**جو إيليس**"! إنك لم تكن في المطبخ تصلح الخزانة مساء أمس في السابعة والنصف، بل كنت تسير على جانب النهر نحو القنطرة قبل مقتل "**روز**" بدقائق معدودة.

ففغر الشاب فاه في هلع، وقال:

-ولكنها لم تقتل، لقد أغرقت نفسها، ولست أنا الذي يمس شعرة من رأسها بسوء، نعم لست أنا.

-إذن فلماذا كذبت علينا؟

فأغمض الشاب عينيه في اضطراب، وقال:

-كنت خائفا، وقد رأتني الآنسة "**بارتليت**" هناك، بالقرب من القنطرة، ولما عرفنا ما حدث فيما بعد قالت لي إنني قد أتهم بقتل "**روز**" إذا عرف أحد أنني كنت بالقرب من القنطرة في ذلك الوقت ولهذا اتفقت معي على أن أزعم أني أمضيت المساء كله في المطبخ أصلح الخزانة، وأكدت لي أنها ستؤيدني في هذا الزعم. إنها سيدة طيبة، وكانت كريمة معي دائما.

ونهض السيد "**هنري**" دون أن يقول شيئا. ثم مضى إلى المطبخ حيث كانت السيدة "**بارتليت**" تغسل بعض الملابس في الحوض، وبلا مقدمات قال لها:

-السيدة "**بارتليت**"! لقد عرفت كل شيء، ويحسن بك أن تعترفي بالحقيقة، وإلا فسوف ترسلين "**جو إيليس**" إلى المشنقة ظلما، أوه! أرى في عينيك أنك لا تقبلين هذا..

حسنا، لسوف أخبرك بما حدث، لقد خرجت مساء أمس توزعين الملابس المغسولة على الزبائن، وفي أثناء عودتك، التقيت مع "**روز إيموت**" على القنطرة، وتذكرت عندئذ أن "**جو**" مستعد لأن يصفح عنها ويتزوجها إذا عادت إليه، وقد عاش "**جو**" معك أربعة أعوام، والواضح أنك غرقت في حبه إلى أذنيك، وكنت ترين أنها غير جديرة بالزواج بشاب تعتبرينه المثل الأعلى بين شباب القرية، ولم تستطيعي أن تحتملي التفكير في أنها سوف تنتزعه منك على الرغم من كل ما حدث منها وأنت امرأة قوية يا سيدة "**بارتليت**". لقد أمسكت الفتاة على حين غرة، وألقيت بها إلى النهر، وبعد ذلك بلحظات التقيت مع "**جو إيليس**" في طريقه إلى القنطرة، لقد رآكما الغلام "**جيمي براون**" من بعيد، فحسبكما رجلين؛ لأنه ظن عربة الأطفال التي توزعين فيها الملابس المغسولة عربة يد، وأوهمت أنت

"جو" انه قد يكون موضع الاتهام بقتل "روز" واقنعته بان يزعم انه كان معك في البيت طوال المساء، وفي الواقع كنت تريدين أن تثبتي في الوقت نفسه وجودك ايضاً في البيت.

ولما سكت السيد "هنري"، مسحت المرأة يديها في مئزرها بهدوء، ثم قالت:

-هذا ما حدث تماما. ولا أدري ماذا دهاني حين رأيتها واقفة على القنطرة. لقد ظننت أنها في انتظار "جو"، وكدت أجن حين تخيلت أنها ستعود إليه وتتزوجه. نعم لقد أحببت "جو" بكل قطرة من دمي. إنني لست امرأة عجوزاً. إنني لم أبلغ الاربعين مع رجل عربيد حتى خلصني الموت منه، ولما عرفت "جو" أدركت أن الاقدار تبتسم لي أخيراً. وعشت على أمل الزواج به، ولولا هذه الفتاة لتزوجته بالفعل.. فهل ثمة لوم عليّ إذا أنا فقدت صوابي حين التقيت بها على القنطرة؟ وحين قررت أن أنتهز الفرصة السانحة وأتخلص منها؟ وأيًا كان الأمر، فإني في الواقع لا أدري.. لا ادري كيف عرفت هذه الحقيقة أيها السيد؟ هل انت من المشتغلين بالسحر؟

فهز السيد "هنري" رأسه ببطء وقال:

-الواقع أنني لست أنا الذي عرفت هذه الحقيقة.

ثم فكر في الورقة المكتوبة والموجودة في جيبه وقد جاء فيها:

"السيدة "بارتليت" التي يسكن معها "جو إيليس" بالمنزل رقم 2 بشارع "ميل" ومرة أخرى كانت الآنسة "ماربل" على صواب.

تمت بعون الله